مجلة الصحافة

العدد (27) | السنة السابعة | خريف 2022

الصحافة الرياضية..
في ضيافة المونديال

معهد
الجزيرة للإعلام

معهد
الجزيرة للإعلام

دليل
الصحافة الرياضية

محتويات العدد

6 كيف غطيت كأس العالم في أول مونديال أفريقي؟
بياتريس بيريرا

12 الصحافة الرياضية في المناهج الدراسية.. الغائب الكبير
وفاء أبو شقرا

18 الصحافة الرياضية.. السياسة والتجارة
أيمن الزبير

24 موقع كووورة.. قصة نجاح عربي في الصحافة الرياضية
أيمن المهدي

30 الصحافة الاستقصائية الرياضية أسيرةً لرؤوس الأموال
إلياس بنصالح

34 «زيزو».. مصور رياضي يطارد كأس العالم
بسام غبر

40 الصحافة البيئية.. يجب أن تشرح للناس كيف ستغرق الإسكندرية
خالد سليمان

46 أيها الزملاء.. إيّاكم والتورّط في صناعة الخبر
إيليا توبر

54 الصحافة في شمال أفريقيا.. قراءة في التحولات
أحمد نظيف

60 عند التغطية الإخبارية في أفغانستان.. الناس هم الأهم
سُرَيّا سلام

66 هل نجح «الفيسبوك» في قيادة الرأي العام الليبي؟
خلود الفلاح

70 من فيلسوف إلى حكواتي.. كيف أثّرت التكنولوجيا على الصحفي
أحمد أبو حمد

74 سيف الوطنية المسلط على رقاب الصحفيين
يونس مسكين

إصدار جديد لمعهد الجزيرة للإعلام

كتّاب المجلة

بياتريس بيريرا

صحفية رياضية مكسيكية، تعمل مراسلة لمجلة Proceso، تحولت بعض قصصها الرياضية لأفلام وثائقية. تشغل منصب أستاذ زائر في كليات للإعلام.

إيليا توبر

صحفي إسباني متخصص في تغطية شؤون الدول المتوسطية. بدأ عام 2011 بالعمل في إسطنبول مراسلا صحفيا لصالح وكالة الأنباء الإسبانية «إيفي» .

وفاء أبو شقرا

أستاذة في كليّة الإعلام في الجامعة اللبنانيّة ورئيسة مركز الأبحاث فيها. حاصلة على شهادة دكتوراه في «سوسيولوجيا الإعلام والاتصال» من جامعة «السوربون» الفرنسيّة.

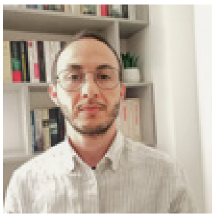

أحمد نظيف

صحفي وباحث تونسي. مهتم بالترجمة والعلوم الاجتماعية. مترجم في مجلة اليونسكو بباريس.

أيمن الزبير

مراسل الجزيرة في مدريد منذ العام 2007، حاصل على ماجستير في الصحافة المكتوبة من جامعة كمبلتنسي في مدريد.

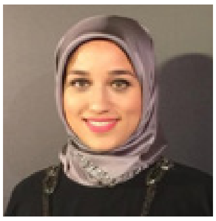

سُرَيّا سلام

مديرة موقع الجزيرة الإنجليزية.

أيمن المهدي

رئيس تحرير موقع كووورة

خلود الفلاح

صحفية ومحررة ليبية. مديرة تحرير «مجلة المرأة».

إلياس بنصالح

خريج معهد الصحافة وعلوم الإخبار بتونس. معلق رياضي بالتلفزيون التونسي ومراسل قنوات الكأس.

أحمد أبو حمد

صحفي في معهد الجزيرة للإعلام، عمل في تغطية الشؤون البرلمانية وقضايا اللجوء والهجرة.

بسام غبر

صحفي وباحث يمني، حاصل على درجة الماجستير في صحافة البيانات.

يونس مسكين

صحفي وباحث مغربي خريج المعهد العالي للإعلام والاتصال، شغل سابقا منصب مدير نشر صحيفة «أخبار اليوم».

خالد سليمان

صحفي متخصص بالقضايا البيئية وتغير المناخ.

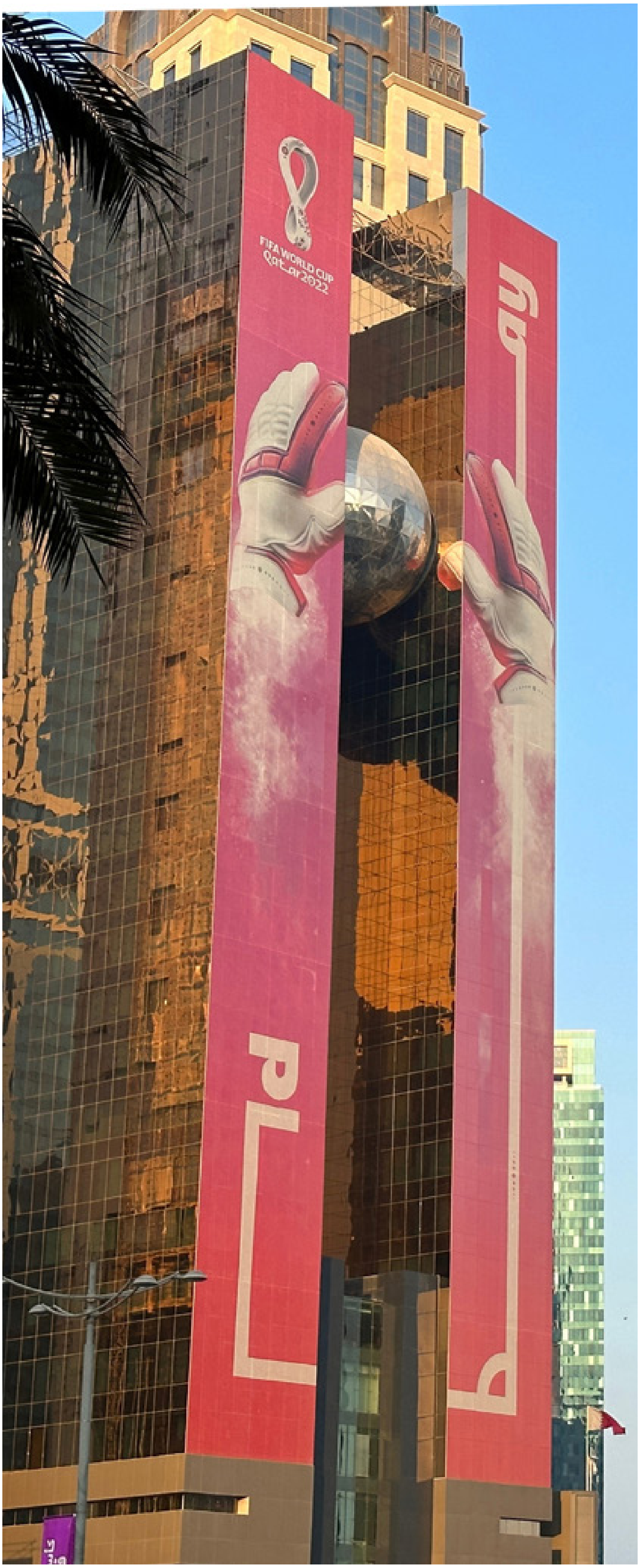

مجلة الصحافة

العدد (27) I السنة السابعة I خريف 2022
مجلة فصلية تصدر عن
معهد الجزيرة للإعلام
شبكة الجزيرة الإعلامية

المشرف العام
إيمان العامري

رئيس التحرير
منتصر مرعي

هيئة التحرير
محمد أحداد
ملاك خليل
محمد خمايسة

مراجعة لغوية
سيد احريمو

تصميم
إدارة الإبداع في شبكة الجزيرة الإعلامية

مجلة الصحافة
Aljazeera Journalism Review

موقع الإنترنت:
/http://institute.aljazeera.net/ar/ajr

تويتر:
@AJR_Arabic

فيسبوك:
www.facebook.com/
aljazeerajournalismreview

بريد المجلة الإلكتروني:
ajreditor@aljazeera.net

الصحافة الرياضية..
من الجنوب إلى الشمال

في مونديال المكسيك 1986، وقد كانت الحرب الباردة وصلت إلى ذروتها بين المعسكرين الغربي والشرقي، اكتشف الصحفيون الرياضيون، فجأة، أن ثمة بلدا مجاورا لأول قوة اقتصادية وعسكرية في العالم، يبحث أبناؤه عن أمل، ولو ضئيل في الهجرة.

كانت المكسيك تمثل هامش العالم، الغارق في الفقر والديون، وكانت قد خرجت، قبل سنة فقط، من زلزال عنيف سوّى مدنا بكاملها بالأرض، وترى في كأس العالم فرصة لا تعوض لتحقيق النهضة، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل مركز العالم الغني الذي يعطي الدول الدروس في الديمقراطية والتنمية، بينما يتدفق آلاف المهاجرين المكسيكيين على حدودها الجنوبية.

هذا الاكتشاف المفاجئ للمفارقات العظمى بين المركز والهامش هو جوهر الصحافة الرياضية التي يريد البعض فصلها عن أدوار الصحافة الحقيقية والزج بها في ميدان الترفيه والتعصب والشوفينية، أو في أقصى الحالات تتحول إلى صحافة «رأي» كما تمارس، اليوم في القنوات التلفزيونية الكبرى، المهووسة بالحقوق والربح التجاري.

في المكسيك سنة 1986، خلد الصحفيون مشهدين: مشهد «يد الله» لمارادونا في تلك المباراة الثأرية مع «المحتل البريطاني»، وصور الخيام والأطفال الذين يتضورون جوعا على الحدود. تدفقت عشرات القصص للصحف الأوروبية عن الفساد والرشوة والفوارق الطبقية الصارخة، وعن تلك الرؤوس المقطوعة التي يقذفها إلى تجار المخدرات على قارعة الطريق.

رغم الدرس المكسيكي الذي اختبر، في الميدان، بشكل قاس، حقيقة المركزية الغربية -ليس فقط في النظر إلى السياسة، بل إلى الرياضة أيضا- فإنه لم يفض إلى نشوء ممارسة صحفية حقيقية، تنظر إلى دول الهامش برؤية مغايرة.

حين أعلن جوزيف بلاتر، رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم سابقا، عن فوز جنوب أفريقيا باستضافة كأس العالم 2010، بحضور الزعيم نيلسون مانديلا، احتفت الصحافة الغربية بطريقة أقرب ما تكون إلى الاستعراض بنهاية حقبة العنصرية والنضال المرير للسود ضد الميز العنصري.

وراء هذا الاستعراض واستثمار رمزية مناضل كبير مثل نيلسون مانديلا، كانت تقبع الحقائق المرة، وهي أنه منذ انطلاق المسابقة لم تنظمها قارة أفريقيا إلا مرة واحدة. وسرعان ما اختفى هذا البريق المرافق لحضور مانديلا، باختراع وسائل الإعلام الغربية لقصة الإيبولا وانتشار الأمراض المعدية، وأخيرا «فوفوزيلا» (نوع من المزامير يشجع بها الجمهور الجنوب الأفريقي)، أما القضايا الحقيقية التي كانت تشغل، أفريقيا، وما تزال: الانعتاق من عقود الاستعمار والاستغلال والحروب العرقية، ومن التبعية لدول الاستعمار «التي خرجت من الباب لتعود من النافذة».

لم تحضر قضايا الفساد والاستبداد والانقلابات وضياع حلم الملايين في التنمية وسرقة الثروات والحروب، كمنجم ثمين للبحث عن قصص الإنسان.

لقد عبّر أليكس فيرغسون، أسطورة التدريب لفريق مانشستر يونايتد، عن هذه الإشكالية عندما استغرب في مذكراته كيف أن الصحافة الرياضية العالمية ظلت منشغلة لأسابيع بتسريحة الشعر الجديدة التي سيطلع بها نجم الفريق دافيد بيكهام، وبحجم الحضور الإعلامي يوم ظهوره بها.

مدفوعـة بهـوس الجماهيـر بالرياضـات الشـعبية وباسـتغلال الأنظمـة السياسـية لكـرة القـدم لتجـاوز هزائـم الديمقراطيـة والاقتصـاد، حولـت الشـركات الرأسـمالية الصحافـة الرياضيـة إلـى «عـرض ترفيهـي» يتواطـأ فيـه الصحفيـون والرياضيـون وأصحـاب الحقـوق، لتصيـر أخبـار النجـوم وحميمياتهـم أسـاس الممارسـة الصحفيـة الحديثـة، وأصبـح ينظـر للصحفـي الرياضـي باعتبـاره مجـرد مشـجع متعصـب.

يتصـادف هـذا العـدد مـع تنظيـم كأس العالـم قطـر 2022، لأول مـرة في بلـد ينتمـي لمنطقـة عربيـة، مزقـت جـزءا منهـا الحـروب والصراعـات العرقيـة والسياسـية، ويواجـه جـزء منهـا أنظمـة مغلقـة اسـتعادت قوتهـا بعـد موجـة الربيـع العربـي.

أمـام الصحافـة الرياضيـة العالميـة فرصـة لا تتكـرر، للتخلـي عـن التعامـل مـع المنطقـة بالنظـرة الاستشـراقية المعتـادة، لأن البحـث عـن الحقيقـة يتعـارض مـع الأحـكام المسـبقة.

مجلة الصحافة

كيف غطيت كأس العالم في أول مونديال أفريقي؟

بياتريس بيريرا

حين وصلت الصحفية بياتريس بيريرا إلى جنوب أفريقيا لتغطية أول مونديال ينظم بالقارة السمراء، كانت تحمل في ذهنها قناعة راسخة بأن حقبة العنصرية انتهت في بلاد «مانديلا». لكن الميدان أثبت عكس ذلك. تحكي بيريرا كيف جعلت من تغطية حدث رياضي فرصة لرصد التناقضات ورواية قصص الناس الذين أنهكهم الفقر.

من الصعب ألا تجد صحفيا يحلم بالذهاب لتغطية أحداث كأس العالم لكرة القدم، خاصة إذا كان شغوفا بهذه الرياضة. إنه الحدث الرياضي الأكبر في العالم، لكن وجودك في بلد مونديالي ومشاهدتك أفضل المنتخبات العالمية وأشهر اللاعبين واقعا أمامك ليس مدعاة للبهجة فحسب، بل إن ذلك يلقي على عاتقك مسؤولية اجتماعية، هي مسؤولية كل صحفي، أن تحكي وتخبر عن كل الموضوعات التي تهم الناس والمجتمعات، لا أن ينحصر عملك في إضفاء الرومانسية على ذاك الحدث الرياضي الرائع.

قد يمثل كأس العالم قطر 2022 هذا التحدي أمام الصحفيين، تماما كما كان ذلك في مونديال روسيا 2018، والبرازيل 2014 وجنوب إفريقيا 2010. هذه بلدان تنطوي على الكثير من القضايا المثيرة للاهتمام الصحفي، على عكس ما كان في كوريا واليابان 2002 وألمانيا 2006، فهي ليست مثل البلدان التي يتفشى الفقر في كل زاوية منها، أو تلك التي توجه إليها انتقادات بشأن حقوق الإنسان.

تجربة مثرية ومثيرة

حظيت بفرصة تغطية فعاليات كأس العالم 2010 في جنوب إفريقيا. بالتأكيد فإن السفر إلى الجانب الآخر من العالم كان تجربة مثرية، يقدم لك دروسا لن تتعلمها في أي مدرسة، كما أن فكرة السفر إلى حيث لا يرن هاتفك الجوال باتصال من أحد هو أفضل ما يمكن أن يحدث للمراسل الصحفي. واجهنا الكثير من المصاعب في تلك المهمة، كانت أولها معاناة برد الشتاء الجنوبي، ذاك البرد وتلك الأمطار التي لم نعتدها نحن القادمين من بلدان ما فوق خط الاستواء. كان عليك أن تخرج لتغطية فعاليات المونديال من المدرجات في الهواء الطلق، بقفازتين في اليدين، قد تستطيع فعل أي شيء سوى أن تخرج أصابعك للكتابة هناك.

اعتياد أطعمة غريبة كان أيضا من مصاعب العمل الصحفي هناك. كثير من الزملاء المراسلين تعرضوا لوعكات

صحية بسبب تناول الطعام في البلدات الصغيرة مثل "بولوكوان" حيث لعبت فرنسا والمكسيك. نصُّ التقرير الذي أعددته عن تلك المباراة كتبته وأنا ألتهب بالحمى وأتصبب عرقا، مع اضطرابات فظيعة في المعدة، ليس باستطاعتك أن تقول ببساطة إنك مريض، عليك أن تواصل إرسال الأنباء، وأن تسلم النصوص باستمرار لأن سيل المعلومات لا يتوقف.

بالنسبة إليّ كانت مهمتي الأساسية متابعة أداء المنتخب الوطني، وبالتأكيد رصد المنتخب الذي سيفوز بكأس العالم، لكن ولأن "PROCESO" مجلة أسبوعية تختص بالسياسة، لم يكن بمقدوري إعداد سجلات أو سرديات لمجريات المونديال أو لما يدور في محيط الملاعب مع الجماهير. كان عليّ أن أتحدث أكثر عن انعدام الأمن في الشوارع وحتى في داخل الفنادق، صحفيون وسياح يتعرضون للسرقة في غرفهم الخاصة، أعمال جنائية وإفراط في العنف أحيانا، حوادث كانت تنكرها السلطات الأمنية في البلاد وسلطات الفيفا كذلك.

تعرضنا أنا وزميلي المصور لمواقف كهذه. كُسرت نافذة السيارة التي كنا نستأجرها وسرقوا منا جهاز الـ"جي بي إس". أمضينا يوما كاملا في مكتب للشرطة ونحن نقدم الشكوى في محاولة لاستعادة جهاز مهم كهذا حتى نستطيع به الوصول إلى المناطق التي كان علينا أن نغطي الأحداث فيها.

وظف الحضور الرمزي لنيلسون مانديلا خلال كأس العالم في إخفاء استمرار العنصرية في جنوب أفريقيا (تصوير: روزا كوفاروبياس).

كتبت أيضا عن العنصرية، فعلى الرغم من أن التاريخ يخبرنا بأنها انتهت منذ سنوات هناك، فإن الحقيقة أن بياض جنوب أفريقيا ما زال مهيمنا.

كنت في مجتمع حيث السود يخدمون البيض، وحيث تعد إهانة لأولئك الذين يستحوذون على السلطة أن يتقدم أصحاب الطبقات الدنيا إلى مدارجهم.

لقد عشت هذا الواقع حقا مع إسحق، الشاب الذي تعاقدت معه في تلك الرحلة لمدة 40 يوما ليكون دليلا لنا في مدن ومجتمعات متنوعة في جنوب إفريقيا.

بينما كانت جنوب إفريقيا مصممة على إظهار هذا البلد في طليعة البلدان خاليا من العنصرية، حينما أرادت تسويقه للعالم، كنت أجوب المدارس

فـي المناطـق المهمشــة مــن جوهانسبرغ حيث لا يتوفر حتى الماء فـي المرافق العامة، وقليل جـدا مـن سـكانها مـن يملـك دولارين لدفـع ثمن أرخص تذكرة لحضـور المباريــات. كان هنــاك أطفـال كثيـرون ممـن أصابتهـم عـدوى تلـك الحُمـى المدعـوة كرة القـدم، كانـت أمعاؤهــم خاويـة أمـا قلوبهــم فكانــت تنبــض بــ "ميسـي" أو بـ"بافانا بافانا" لقـب منتخـب جنـوب إفريقيـا الـذي كان يملؤهـم بالفخـر. فـي النهاية كان عـدد الحضور قليلا جـدا فـي المدرجـات، ولذلـك قـام المنظمـون بجلـب شـاحنات مليئـة بطـلاب المـدارس مـن المناطـق المهمشـة لمـلء تلـك الثقـوب فـي جسـد الفِيلَـة البيضـاء المسـتقبلية.

كتبــت أيضا عــن العنصرية، فعلــى الرغــم مــن أن التاريخ يخبرنــا بأنهــا انتهــت منــذ ســنوات، فــإن الحقيقــة أن جنــوب إفريقيــا البيضــاء هــي التــي تهيمــن هنــاك.

أنفقـت جنـوب إفريقيـا مبالـغ ماليـة ضخمـة كـي تحظـى بفرصـة احتضـان الموندیـال، أنشـأت ملاعـب لـن تمتلـئ بعد ذلـك أبـدا، لأن عـدد الأفارقـة فـي الـدوري المحلـي وأعـداد الجماهيـر قليلـة مقارنـة بحجـم تلـك الملاعـب ومدرجاتهـا، طـاردت الفيفـا الأمهـات اللواتـي كـن يطبخـن الطعـام المنزلـي لبيعـه خـارج هـذه الملاعـب فـي مباريـات الـدوري المحلـي، بينمـا حـل مكانهـن مـا يسـمى "ماكدونالـدز"، سُـلبن مصـدر رزقهـن حيـن بـدا أن كأس العالـم سـيكون فرصـة لإدارة المـوارد الاقتصاديـة التـي هُـن فـي أشـد الحاجـة إليهـا، قابلتهـن فـي محيـط ملعـب البنـك الوطنـي الأول أو مـا يسـمى "مدينـة كـرة القـدم" علـى بعـد كيلومتريـن اثنيـن سـيراً، وقـد ظلّـت هـذه النسـاء علـى وعـود الحكومـة بـأن يتـاح لهـن بيـع الطعـام للسـياح.

"أليكسـاندرا"، حـي يقـف بثبـات أمـام أعيـن جوهانسـبرغ ليذكّـر السـلطات هنـاك بأنهـا مهمـا فعلـت لتغطيـة وتزييـن المأسـاة فـي العاصمـة فإنهـا لـن تسـتطيع تخبئـة الفقـراء، ولا الشـوارع التـي يضرمـون النـار فيهـا كـي يدفئـوا أنفسـهم مـن بـرد الشـتاء، "تُعـرف بالمدينـة المظلمـة"، فـي هـذه البلـدة كل شـيء فوضـوي وقـذر، أطفـال يتغوطـون فـي سـاحات فارغـة محاطـة بجبـال مـن القمامـة، حيـث تشـم روائـح الماعـز الـذي

كنت في مجتمع حيث السود يخدمون البيض، وحيث تعد إهانة لأولئك الذين يستحوذون على السلطة أن يتقدم أصحاب الطبقات الدنيا إلى مدارجهم (تصوير: روزا كوفاروبياس).

يسرح طليقا هناك، المأساة تتفاقم بين الصفائح وصفوف الطوب غير المنتظمة وغير المثبتة لأكواخ لا تحتوي حتى على حمامات، مدينة يعيش فيها 350 ألفا من ذوي البشرة السوداء، الماء والكهرباء هناك خدمات نادرة، العنف واليأس جيران تلك المنطقة"، هذا ما كتبته قبل اثني عشر عاما. على كل حال، كرة القدم كانت موجودة هناك قبل الفيفا، شيء يلطف من وقع الفقر عليهم، الهدف الذي يُسجل هناك حتى وإن كان المرمى ركنا في الشارع وبِكُرة مصنوعة من النايلون المربوط جيدا فإنهم يحتفلون به كما لو كان هدف رونالدو لمنتخب البرازيل وهي تحرز لقبها العالمي الخامس. هذه هي كرة قدم الفيفا، التي تجلب لك سعادة كاذبة، تتحول سريعا إلى ما يشبه دوار ما بعد السكر حين يعود الجميع إلى منازلهم، حيث واجبنا كمراسلين، كما هو دائما، أن نروي تلك القصص التي لا يريد البعض أن تظهر للعلن، لأن واجبنا دائما يكون نحو المحكومين وليس نحو الحاكمين، حين ننقل الأخبار حتى وإن كنا في فعالية رياضية، فإن واجبنا دائما ما يكون نحو الشعوب.

> **إن واجبنا كمراسلين أن نروي تلك القصص التي لا يريد البعض أن تظهر للعلن، لأن واجبنا دائما يكون نحو المحكومين وليس نحو الحاكمين.**

واحدة من أفضل التجارب التي مررت بها هناك كانت الوصول إلى منزل "كاسبر سيمينيا"، بطلة الألعاب الأولمبية والفائزة بسباق الـ 800 متر العالمي، التي كانت في 2010 تعد أيقونة رياضية لألعاب القوى، لكن الاتحاد الدولي كان يحقق في جنسها. سافرنا على طول الطريق السريع مدة سبع ساعات من جوهانسبرغ حتى ليمبوبو، وعلى باب منزلها طردتنا والدتها. كانت ترفض التعامل مع الصحافة الأجنبية التي آذت ابنتها كثيرا، لم يوقفني هذا الرفض، بحثت عن مدرسات كاسبر في المدرسة الابتدائية اللواتي أوصلنني إلى بيت جدتها الذي ترعرعت فيه، أطلعتني المرأة على غرفة كاسبر التي كانت تعيش فيها في طفولتها ومرحلة النضوج، كان كل شيء هناك باللون الوردي.

«جبت المدارس في المناطق المهمشة من جوهانسبرغ حيث لا يتوفر حتى الماء في المرافق العامة، وقليل جدا من سكانها من يملك دولارين لدفع ثمن أرخص تذكرة لحضور المباريات» (تصوير: روزا كوفاروبياس).

القليلـون فـي جنـوب أفريقيـا يعرفـون مـا هـي المكسـيك. الأكثريـة لديهـا فكـرة عـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، كـانـت تلـك مرجعيتـي لأشـير إلـى المكـان الـذي أتيـت منـه فـي الطـرف الآخـر للعالـم، كـي أعمـل فـي بلدهـم.

فـي قريـة سـيمينيا أيضا كان يطل وجـه الفقـر مـن كل مـكان، بقايا عظـام الماشـية علـى جانبـي الطريـق كانـت جـزءا مـن الرحلـة، أطفـال يتجولـون فـي الشـوارع الترابيـة بـلا أحذيـة رغـم البـرد وبثيـاب تملؤهـا الثقـوب.

مـن خـلال استضافتـهـم كأس العالـم حاولـوا أن يبيعونـا فكـرة أن هــذا البلــد يتمتــع باكتفــاء مـن الناحيـة الاقتصاديـة لتنظيـم هـذه المسـابقة، لكـن لـدى الوصـول إلـى مداخـل جنـوب إفريقيـا، رأيـت كيـف أن كـرة القـدم بـدأت تغير مصيـر النسـاء فـي المناطـق المهمشـة، اللواتـي لـم تكـن تهمهـن مسـميات مـن قبيـل "مثليـات" أو "مسـترجلات" أو غيـر ذلـك، بالنسـبة إليهـن فـإن الرياضـة تمثـل لهـن فرصـة للإقـلاع عـن تعاطـي المخـدرات أو لنسـيان مـا تعرضـن لـه مـن هجـران وعنـف جنسـي، قابلـت لاعبـات فريـق "أليكسـاندرا لاديز" ومدربهـن الذيـن اسـتضافوني فـي ملعـب للكـرة، وكذلـك فـي منـزل ذلـك الرجـل الـذي لـم يتمكـن مـن المضـي فـي حلمـه بـأن يصبـح لاعبـا كرويـا، لكنـه وجـد فـي نفسـه القـدرة علـى تدريبهـن.

القليلـون فـي جنـوب أفريقيـا يعرفـون مـا هـي المكسـيك، الأكثريـة لديهـا فكـرة عـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، كانـت تلـك مرجعيتـي لأشـير إلـى المـكان الـذي أتيـت منـه فـي الطـرف الآخر

للعالــم، كــي أعمـل فــي بلدهــم. بالنســبة إلــى "إســحق أوامــي زولــو"، الشــاب الــذي تعاقــدت معــه، أشــتاق إليــه حتــى الآن، كان واحــدا مـن متطوعــي الفيفــا، وقـد سـرقناه منهـم كـي يسـاعدنا، كل التقاريـر التـي تمكنـت مـن إعدادها يعـود الفضـل إليـه فـي إتمامهـا. كان يتحـدث بإحـدى عشـرة لغـة محكيــة فــي جنــوب إفريقيــا، كان يحمينــي أنــا وزميلــي المصــور مــن المخاطــر فــي كل المناطــق التــي ذهبنــا إليهــا، وقــد أوصلنــا إلــى الأشــخاص الذيــن كنــا نحتــاج إلــى مقابلتهــم لنروي كل هــذه القصص.

مسؤولية كل صحفي، أن يحكي ويخبر عن كل الموضوعات التي تهم الناس والمجتمعات، لا أن ينحصر عمله في إضفاء الرومانسية على ذاك الحدث الرياضي الرائع (تصوير: روزا كوفاروبياس).

الصحافة الرياضية في المناهج الدراسية.. الغائب الكبير

وفاء أبو شقرا

رغم أن الرياضة تطورت كممارسة وصناعة في العالم العربي، إلا أن الكليات والمعاهد لم تستطع أن تدمج تخصص الصحافة الرياضية كمساق دراسي، إما بسبب النظرة القاصرة بأن الرياضة مجرد ترفيه أو لافتقار طاقم التدريس للمؤهلات اللازمة.

يعني التخصّص العلمي انقسام الكلِّ المعرفي إلى جزئيّاتٍ متخصّصة، بحيث بات كلّ علم في هذا العصر يحدّد معالمه وحدوده ويتميّز عن غيره من العلوم والمعارف الأخرى بخصائص ينفرد بها. وينسحب هذا المفهوم على علوم الإعلام والاتصال. عندما نتحدث عن الصحافة المتخصّصة، نعني بها المقروءة والمسموعة والمرئية التي تهتمّ بمجالٍ معرفي معيّن، وتقدِّم مضامينَ محدّدة، ولا تتوجّه للمجتمع كلّه، إنّما إلى جمهور محدَّد "يبحث" عن هذه المضامين ويكون له خصائص وسمات واحتياجات وأذواق مشتركة أو متقاربة.

لعلّه من الصعب حصر المجالات التي تغطّيها الصحافة المتخصّصة؛ لكن من السهولة بمكان، ملاحظة مدى تأثّرها بطبيعة المجتمع الذي تصدر منه أو تُقدَّم له. فتختلف، تبعاً لذلك، اهتماماتها وأهدافها في تلبية احتياجات الجمهور وانتظاراته وإعلاء إحساسه أحياناً بالهويّة الوطنيّة أو القوميّة (كما يحدث مثلاً في تغطيات كرة القدم أو كرة السلّة في الدوريّات وكأس العالم).

ومنذ تسعينيّات القرن الماضي، تزايد اهتمام وسائل الإعلام بالرياضة بعدما أضحت "عملاً تجاريّاً" عالميّاً كبيراً رُصِدت له المبالغ الضخمة، لا سيّما "الأحداث المميّزة" مثل الألعاب الأولمبيّة وكأس العالم لكرة القدم. تطوّرت الصحافة الرياضيّة كصحافة متخصّصة، وصارت فنّاً إعلاميّاً تتحدّد ركائزه الرئيسيّة بفنّ التوجّه إلى المستويات المتنوّعة من المتلقّين، والالتزام بتقنيّات التعامل مع العمليّة الاتصاليّة الرياضيّة كعمليّةٍ لها "زبناؤها" المحدَّدون (محترفون، هواة، ناشئة، مهتمّون...) ولها مجالاتها المحدّدة التي تنهل منها موادّها (رياضات شعبيّة وأخرى نخبويّة) ولها صحفيّوها المتخصّصون (محرّرون، مصوّرون، معلّقون) (1).

تبدّلت نظرة المجتمع الحديث إلى الرياضة بعدما تحوّلت الألعاب والنشاطات الرياضيّة إلى صناعة، وازداد طابعها الاقتصادي، وبرزت سمتها التجاريّة في بعض الأنظمة (موقع شترستوك).

الصحفي الرياضي بين الكتابة التخصّصيّة والأداء المهني

نشأت الصحافة الرياضيّة كصحافة أنشطة فرديّة وهوايات وتسلية قبل أن تتفرع عنها تخصّصات رياضيّة دقيقة. وتعكس هذه الصحافة، عموماً، الوزن الحقيقي للرياضة في مجتمع ما وفي مرحلة ما، وتحتلّ المكانة نفسها التي تحتلّها الرياضة داخل المجتمع ذاته. فبعد سنوات طويلة من العمل الإعلامي والتدريس الجامعي، يمكنني التأكيد أنّ الصحافة الرياضيّة قد تكون من أكثر (إن لم يكن أكثر) التخصصات انتشاراً وجماهيريّة، لكنّها لم تعرف الازدهار في العالم العربي إلاّ في أواخر الثلث الأوّل من القرن الماضي.

ومن المهمّ الإشارة في هذا السياق إلى أنّ انتشار الصحف (العامّة)، خصوصاً في منطقة الخليج العربي، ارتبطت، مباشرةً، بانتشار الصحف الرياضيّة التي أسهمت في إعداد جيل من الصحفيّين في هذه المنطقة، تولّى بعضهم مناصب تحريريّة في الصحف المهتمة بالشأن العام. ويصبح التساؤل هنا مشروعاً: عمّا إذا كان العمل في الصحافة الرياضيّة يتطلّب المهارات والمؤهّلات والكفايات المهنيّة التي يتطلّبها العمل في الصحافة العامّة (أو أيّ صحافة متخصّصة أخرى)؟ وعن أسباب عدم إدراج الصحافة الرياضيّة كصحافة متخصّصة ضمن مناهج كليّات الإعلام ومعاهد الصحافة في العالم العربي؟ وعن خلفيّات النظر إلى الصحفي الرياضي كـ "صحفي درجة ثانية"؟

الصحفي هو الركن الأساسي في مهنة الصحافة؛ هذه حقيقة لا تحتمل اللبس. وسواء كان هذا الصحفي يعمل في مؤسّسة إعلاميّة عامّة أو متخصّصة، فإنّ ذلك لا يعني أنّ متطلّبات عمله

ستختلف أو ستنقلب رأساً على عقب. فهذه المتطلّبات هي ذاتها لا تتغيّر بين مجالٍ ومجال، غير أنّ الصحافة المتخصّصة شكّلت، في فلسفتها، تطوّراً جديداً في تحديد دور الصحفي، ورسم العلاقة بينه وبين المتلقّي على قاعدة البحث عن المعلومة المتخصّصة لتقديمها إلى الجمهور المتخصّص أو المهتمّ. وهذا ما دفع بالصحفيّين الروّاد إلى الاهتمام بوضع قواعد جديدة للصحافة، بمفهومها الخبري المتخصّص ومصادرها وتقنيّاتها ومعاييرها التحريريّة التي تتوافق مع طبيعة المواد الرياضيّة (3).

ولكن، كيف يصبح المرء صحفيّاً رياضيّاً؟

التكوين المهني والأكاديمي للصحفي الرياضي

تعاني الصحافة الرياضيّة العربيّة، التي تنشط في سوق عمل تنافسي كبير، من ضعف مهنيّةٍ واحترافية مَن يمارسها، علماً أنّها، وكصحافةٍ متخصّصة، تحتاج إلى كوادر إعلاميّة مدرَّبة ومُعَدّة بشكلٍ جيّد في المجال الذي تعملُ فيه، وتحديداً في العصر الرقمي الذي ألزم كلّ قطاعات العمل بشروطه وليس الصحافة الرياضة وصحفيّيها، فحسب. صحيحٌ أنّ مهارات الصحفي الرياضي تتبلور خلال ممارسته العمل الصحفي والدخول إلى سوق العمل، إلّا أنّ سيادة المنطق التقني على الصناعة الإعلاميّة فرض نفسه بقوّة في المؤسّسات الإعلاميّة، ووضع الصحفي أمام تحدّيات مهنيّة وتقنيّة ومعرفيّة كبيرة. فبات نجاح المؤسّسة الإعلاميّة، العامّ منها والمتخصّص، يعتمد كثيراً على كفاءات صحفيّيها ومهاراتهم، ولا سيّما قدرتهم على المعالجات المتخصصة للأحداث والمواضيع والقضايا (3).

> **من أسباب عدم إدماج تخصص الصحافة الرياضية في المناهج الدراسية الاعتقاد بأنّ الرياضة ليست سوى هواية ونشاط ترفيهي، وبالتالي ليس بمقدورها أن تطرق باب العلوم لمعالجة قضاياها.**

الصحفي الرياضي والحاجة للتخصّص الأكاديمي

مع تعاظم حضور التكنولوجيا في المنظومة الإعلاميّة، برز التحدّي الأكبر أمام الصحفيّين الرياضيّين العرب (وغيرهم أيضاً) المتمثل في ضعف تأهيلهم للتمكّن من مجاراة التطوّر التكنولوجي، وتعلُّم كيفيّة التعاطي مع الأنماط الجديدة لاستهلاك المعلومات وإنتاجها ونشرها. وفي هذا الإطار، برزت حالة من التخبّط والفوضى في إدارة المؤسّسات الإعلاميّة التي لم تبذل جهوداً للقيام بدورات تدريبيّة لصحفيّيها وموظّفيها باستثناء بعض القنوات التلفزيونية الكبرى.

كيف يظهر ضعف التكوين المهني والأكاديمي لدى الصحفي الرياضي العربي؟ يعتقد بعض الصحفيّين الرياضيّين العرب أنّ شغفهم بالرياضة يُغنيهم، إلى حدٍّ بعيد، عن وجوب إلمامهم بأمورٍ كثيرة تتطلّبها ممارستهم لهذه المهنة، وعن الاجتهاد في تكوين أنفسهم دراسيّاً وعن السعي إلى تطوير قاعدة معارفهم ومعلوماتهم ومهاراتهم. ويمكن لأيّ متابع رياضي مهتمّ أن يلاحظ حجم الرتابة التي يعاني منها "عرض" المادّة الصحفيّة الرياضيّة العربيّة للجمهور، التي في معظمها، تراوح بين إنتاج محتوى تقليدي يكتفي فيه الصحفي بنقل حرفي لنصّه أو ترجمته عن وكالات الأنباء (المحليّة والعالميّة)، ومن ثمّ يقدّمه للمتلقّي كـ"واجب وظيفي" يستعجل إتمامه للانصراف بعدئذٍ من مكان عمله. فلا عجب أن تغيب، إذاً، المعالجات الاحترافيّة للقصص الصحفيّة الرياضيّة التي تتجاوز، في بعض الظروف، الألعاب نفسها وتكتسب أهميّة اجتماعيّة وسياسيّة، وللتغطيات والتحليلات التي تربط الرياضة بشتّى نواحي الحياة (اقتصاد، ثقافة، حقوق.. وربّما سياسة) (4). كما يبرز افتقاد أداء العديد من الصحفيّين الرياضيّين لتقنيّات مهمّة للغاية، مثل:

- تقنيّة مخاطبة المستويات، إذْ إنّ للجمهور الرياضي خاصّيّة قد لا تتوفّر لدى الجماهير الأخرى، وهي أنّه ذو مستويات متنوّعة من المتلقّين (محترفون، هواة، ناشئة، مهتمّون).

اللافت، أنّ العناية التي تمّ إيلاؤها لتطوير مستويات اللاعبين الرياضيّين والمدرّبين والإداريّين، لم نشهد نظيراً لهما عندما يتعلّق الأمر بتطوير مستويات الصحفيّين والكُتّاب والمعلّقين الرياضيّين (موقع شترستوك).

- تقنيّة المتابعة الإعلاميّة، وتعني أنّ الصحفي الرياضي ليس مجرّد مُخبِر وراصدٍ للمعلومة وناقلٍ لها، بل هو شخصٌ متخصّصٌ وقادر أن يقدّم نصّاً حيويّاً متحرّكاً يستخدم ما خزنه في الذاكرة، ويبدي عبره رأيه النقدي (خلال التغطية المباشرة تحديداً) وأن يقدّم النصائح، في هذا المضمار (5).

- تقنيّة التحليل والتعليق وتثقيف الجمهور.

في العديد من الدول العربيّة يرتبط التكوين الإعلامي للصحفيّين، وعلى تنوّع اختصاصاتهم، بفضاء كليّات الإعلام ومعاهد الصحافة. صحيحٌ أنّ الصحافة هي فنّ تطبيقي وأنّ كثيرين دخلوا وأبدعوا فيها رغم أنّهم لم يرتادوا كليّات الإعلام، لكنّ هذا لا يعني أنّ التخصّص الأكاديمي للصحفي لا يجعله أكثر قدرةً على الإبداع واستخدام مَلَكة ما نسمّيه "الحسّ الصحفي" فيما يقدّمه من موادّ.

الصحفي هو الركن الأساسي في مهنة الصحافة؛ هذه حقيقة لا تحتمل اللبس. وسواء كان هذا الصحفي يعمل في مؤسّسة إعلاميّة عامّة أو متخصّصة، فإنّ ذلك لا يعني أنّ متطلّبات عمله ستختلف أو ستنقلب رأساً على عقب.

والتخصّص في الصحافة، لا يعني الشهادة بقدر ما يعني تمكين الصحفي من امتلاك الأدوات النظريّة والرقميّة واكتساب المعارف الإعلاميّة وتوظيفها في عمله.

الصحافة الرياضيّة والمناهج التعليمية

تبدّلت نظرة المجتمع الحديث إلى الرياضة بعدما تحوّلت الألعاب والنشاطات الرياضيّة إلى صناعة، وازداد طابعها الاقتصادي، وبرزت سمتها التجاريّة في بعض الأنظمة (6). فأصبحت الرياضة سياسة واقتصاداً وتربية وصحّة وثقافة وإعلاناً ومراهنات.. إلخ. وتعقّدت خارطتها، وأصبح لها نظريّات ومدارس كسائر العلوم الأخرى. فأنشِئت عبر العالم، وفي معظم بلداننا العربيّة، كليّات لعلوم الرياضة بناءً على الحاجة الملحّة للكفاءات المؤهّلة لتطوير التعليم والتدريب الرياضي بكافة مستوياته، وتماشياً مع التطوّر العلمي الحاصل للعلوم الرياضيّة في الدول المتقدّمة (7). واللافت، أنّ العناية التي تمّ إيلاؤها لتطوير مستويات اللاعبين الرياضيّين والمدرّبين والإداريّين، لم نشهد نظيراً لهما عندما يتعلّق الأمر بتطوير مستويات الصحفيّين والكُتّاب والمعلّقين الرياضيّين! فحتّى اللحظة، لم يشقّ اختصاص الصحافة الرياضيّة طريقه إلى داخل أروقة الجامعات العربيّة، ولم يُدرَج في المناهج والمقرّرات، لا على

مستوى الإجازة ولا على مستوى الماجستير. علماً أنّه بات هناك توسّعٌ كمّي كبير في نُظم تعليم الصحافة في الجامعات العربيّة، بحيث يمكن رصد حوالي 135 برنامجاً أكاديميّاً لتعليم الصحافة وسائر الفنون الإعلاميّة والاتصاليّة في كليّات الإعلام في الجامعات العربيّة. وصارت تشتمل، وتحديداً بعد الثورة الرقميّة على العديد من المسارات المهنيّة في الصحافة المتخصّصة سواء في مجال الاقتصاد والتنمية أو في الصحّة والبيئة أو في القانون والنقد (الأدبي والفنّي)، إلاّ أنّ الرياضة بقيت خارج اهتمامات الأكاديميّين. ولم نشهد، حتّى اليوم، على أيّ تجارب عربيّة لإدماج تخصّص الصحافة الرياضيّة ضمن مناهج كليّات ومعاهد الصحافة (8). لماذا هذا الإحجام؟

في الحقيقة، لا أسباب واضحة لاستمرار تغييب تخصّص الصحافة الرياضيّة عن المناهج الجامعيّة العربيّة، ما يدفع للاجتهاد في تقدير الأسباب كالآتي:

- الاعتقاد بأنّ الرياضة ليست سوى هواية ونشاط ترفيهي، وبالتالي ليس بمقدورها أن تطرق باب العلوم لمعالجة قضاياها.

القناعة بأنّ الصحافة الرياضيّة سهلة، بإمكان أيٍّ كان أن يمارسها لدرجة أنّها صارت تُسمّى «مهنة مَن لا مهنة له»، تدفع البعض للقول إنها لا تستحق تخصّصاً أكاديميّاً قائماً بذاته.

- القناعة بأنّ الصحافة الرياضيّة إنّما هي صحافة سهلة، بإمكان أيٍّ كان أن يمارسها لدرجة أنّها صارت تُسمّى "مهنة مَن لا مهنة له"، وعليه، فهي لا تستحق تخصّصاً أكاديميّاً قائماً بذاته.

- افتراض أنّ الطلّاب الذين يتخرّجون من كليّات الإعلام ومعاهد الصحافة أو الدراسات الإعلاميّة، يمكنهم العمل كمحرّرين للأخبار الرياضيّة أو محلّلين للمعلومات أو مُعدّين للتقارير والتحقيقات والبرامج أو معلّقين على المباريات.

- ندرة الأساتذة والكوادر التعليميّة المتخصّصة، ومَن لديهم الخبرة الأكاديميّة والإلمام بالمجال الرياضي، لتدريس مقرّرات الصحافة الرياضيّة وتزويد طلاّبها بالتكوين المعرفي والنظري والفكري أيضاً.

- ندرة وجود صحفيّين رياضيّين ومهنيّين ومدرّبين متخصّصين، أيضاً، يمكنهم "تعميم" تجربتهم العمليّة على الطلاّب، ومساعدتهم على تسليح أنفسهم بالمهارات المطلوبة في عملهم.

ولكن ما هي المتطلّبات الأكاديميّة لتكوين الصحفي الرياضي؟

كان جوزيف بوليتزر، أكبر ناشري

حتّى اللحظة، لم يشقّ اختصاص الصحافة الرياضيّة طريقه إلى داخل أروقة الجامعات العربيّة، ولم يُدرَج في المناهج والمقرّرات، لا على مستوى الإجازة ولا على مستوى الماجستير (موقع شترستوك).

الصحف الأمريكيّين في التاريخ، يقول: "إنّ الصحفيّين الذين لا يتعلّمون مهنتهم في كليّاتٍ علميّة، يتعلّمون مهنتهم على حساب الجمهور". وعليه، فإنّ أبرز ما يجب أن يتعلّمه الصحفي الرياضي في الجامعة (وليس على حساب الجماهير العربيّة) يمكن اختصاره فيما يلي:

- تاريخ وقوانين أبرز الرياضات.
- ماهيّة الإعلام الرياضي وتاريخه ومفاهيمه ووظائفه وأنواعه.
- نظريّات الاتصال الإعلامي.
- الاستراتيجيات الإعلاميّة لتطوير الإعلام الرياضي.
- مجالات تأثير الإعلام الرياضي وتصنيفات الجمهور.
- أخلاقيّات العمل الإعلامي والتشريعات الإعلاميّة في المجال الرياضي.
- مهام ومسؤوليّات وسمات الصحفي الرياضي (في أيّ موقعٍ كان).
- مهارات جمع الأخبار والوصول إلى المصادر.
- قواعد وأُسس وخصائص كتابة القصص الرياضية.
- لغة الصحافة الرياضيّة.
- أنواع التغطية الرياضيّة ومراحلها.
- فنون ومهارات إجراء الحوارات وإعداد التقارير (المكتبيّة والميدانيّة) والتحقيقات وكتابة المقال في مجال الرياضة.
- مهارات الوسائط المتعدّدة وشبكات التواصل الاجتماعي.
- مهارات إعداد وتقديم محتوى برنامج رياضي (إذاعي – تلفزيوني – بودكاست – منصّة يوتيوب).
- ممارسات وتطبيقات ورشة عمل في أحد المجالات الإعلاميّة.
- لغات وأصول الترجمة والتعريب.

إنّ مراجعة ملامح نُظم تعليم الصحافة والإعلام في الجامعات والكليّات العربيّة تكشف مدى الحاجة لإعادة النظر في المناهج الدراسيّة الموجَّهة لتكوين الصحفيّين والقائمين بالاتصال، عموماً، وتكشف مدى الحاجة لإطلاق مساراتٍ جديدة في "الصحافة المتخصّصة"، وفي مقدمتها "الصحافة الرياضيّة"، ما سيساعد، بلا أدنى شكّ، في ترشيد العمل الإعلامي العربي.

المراجع:

1- "Presse d'information spécialisée" Documentation Française, 2007.

2- Robert Maltais et Pierre Cayouette (sous la direction de), "Les journalistes: Pour la2- survie du 2-journalisme", Editions Québec Amérique, 2015.

3- عيسى الهادي وسليمان لاوسين، "المنظومة الإعلاميّة الرياضيّة"، ط 1، دار الكتاب الحديث، 2015.

4- فنسان ليكيت، "ثقافات الإعلام"، ترجمة: منير مخلوف، بيروت، منشورات ضفاف، 2015.

5- جورج كلاس وميشال سبع، "الإعلام المتخصّص – فنون وتقنيّات"، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانيّة، 2009.

6- حسن عماد مكاوي وعادل عبد الغفار، "الإعلام والمجتمع في عالم متغيّر"، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، 2008.

7- Annick Lelli, "Les écrits professionnels", 2e édition, Paris, Dunod, 2008.

8- انظر: "دليل ضمان جودة برامج التربية الرياضيّة في الجامعات العربيّة"، الطبعة الأولى، 2016.

9- "نحو فضاء عربي للتعليم العالي: التحدّيات العالميّة والمسؤوليّات المجتمعيّة"، الاونيسكو، تحرير عدنان الأمين، 2009.

الصحافة الرياضية.. السياسة والتجارة

أيمن الزبير

هل أصبحت الصحافة الرياضية محكومة بقيم الرأسمالية، أي الخضوع للعرض والطلب ولو على حساب الحقيقة والدقة؟ وكيف تحولت إلى أداة توظفها الشركات الرياضية ورجال الأعمال والسياسة لتصفية الخصوم؟ وهل أدى المنطق التجاري إلى استبدال الرأي بالخبر بعيدا عن كل قيم المهنة؟

في زمن غير بعيد كان رفائيل ماريشالار من الإعلاميين القلائل المسموح لهم بتغطية أجواء المباريات في المنصات الشرفية من ملعبي قطبي العاصمة الإسبانية: ريال وأتلتيكو مدريد. لم تكن مقالات الرجل، الذي أنهى مساره المهني في صحيفة "أي بي سي" المحافظة، تغوص في التفاصيل الفنية للمواجهات، بل كانت أعمدة تنقل أحاديث "علية" القوم الذين كانوا ومازالوا يؤسسون فضاءات تعتبر مرادفا للسلطة والنفوذ.

توفي ماريشالار سنة 2006، ولم يكن حينها النقاش حول زواج السلطة والرياضة بنفس الشدة التي ستتكشف ملامحها لاحقا، بعيدا عن غرف الأخبار. في الثاني من مارس من سنة ألف وواحد وعشرين، تزامنا مع اعتقال رئيس نادي برشلونة السابق جوسيب ماريا بارتوميو، نشر الموقع الرسمي لفريق "البارسا" مقالا يتهم وسائل الإعلام الإسبانية بمنح رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريث "مناعة إعلامية". حجته في ذلك أن معظم المنابر الإسبانية فضلت تسليط الضوء على فضائح "البارسا" وحجب استغلال النفوذ الذي سمح لفلورنتينو بتغيير التصنيف الحكومي لأراضي المدينة الرياضية لريال مدريد الذي أدى لرفع سعرها، والذي منح الفريق قوة مالية مكنته من التعاقد مع نجوم مثل اللاعب السابق لويس فيغو أو النجم الإنجليزي ديفيد بيكهام.

غاب رئيس ريال مدريد عن عناوين الأخبار، واتهم أنه يدير بذكاء علاقاته بوسائل الإعلام لإخفاء مزاعم الفساد.

قد يزعم البعض أن الوقائع التي سجلت في السنوات الأخيرة تشكك في جدية هذا الادعاء. فالرجل المتهم ببسط سطوته على كبرى وسائل الإعلام لم يسلم في السنوات الأخيرة من قلم ألفريدو ريلانيو اللاذع. في عشرات المقالات والبرامج الحوارية رسم المدير السابق لصحيفة "أس" ما كان يعتبرها إخفاقات رئيس نادي ريال مدريد دون أن يرف له جفن. أما موقع "إلكونفدنشيال" الواسع الانتشار فلم يتردد في نشر مقاطع صوتية مسجلة لبيريث، كشفت محادثات شخصية ومعطيات سرية عن علاقته ببعض نجوم الفريق وبثلة من الإعلاميين، فيما اعتبرها البعض بالسقطة المهنية غير المبررة حتى وإن كانت مادة "إخبارية" دسمة.

أيا كان مآل هذا الجدل، يستعصي في الوقت الراهن استبعاد شهادة الإثبات التي

زاد نفوذ الصحافة الرياضية، وأحست بشرعية المطالبة بحصتها من كعكة الرأسمالية، لينتهي الأمر بتحولها بدورها إلى مجرد «شركات فرعية» للرياضة (تصوير: بارينجتون كومبس - غيتي).

تذهب إلى أن الصحافة الرياضية -مثل أختها السياسية- خاضعة لقوة المصالح.

يثبت ذلك الاصطفاف غير

> يستعصي في الوقت الراهن استبعاد شهادة الإثبات التي تذهب إلى أن الصحافة الرياضية خاضعة لقوة المصالح.

المهني وراء فريقي برشلونة وريال مدريد من قبل وسائل إعلام الفريقين. من تابع الصحافة الرياضية الإسبانية في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي لا يخفي ذهوله أمام استسلام الأقلام لمجتمع الفرجة.

في تلك الأيام كانت صحيفة "ماركا" مرجعا دوليا يعتد به وكانت النشرات الإخبارية الرياضية مساحات لا تذيع سوى الوقائع الدقيقة الخالية من شوائب الرأي، أما برامج مثل "Estudio Estadio" فكانت مراجع مهنية ينتظرها المتلقي على أحر من الجمر.

ماذا حدث إذن؟

يقول الإعلامي الإسباني إسحاق راموس في مقال في مجلة "جوت داون" إنه على مدى العقود الماضية تطورت الرياضة كواحدة من أشكال الأعمال التجارية لتتحول، عبر التلفزيون أولاً ثم بفضل الإنترنت في السنوات

الأخيرة، إلى سيناريو الإعلان المثالي لجميع أنواع الشركات وإلى محفز اقتصادي حقيقي.

أصبحت الرياضة بمثابة "رأس الحربة" في الرأسمالية الجديدة، التي توصلت في النهاية إلى تحويل الفرق الرياضية واللاعبين إلى علامات تجارية تمثل مصادر دخل هائلة وكأنهم نجوم موسيقى "الروك" الجدد. ولو تكن الصحافة الرياضية، التي تعتمد دوما على أخبار تلك الفرق وهؤلاء اللاعبين، بمنأى عن هذا التطور. فقد زاد نفوذها بشكل موازٍ وأحست بشرعية المطالبة بحصتها من هذه الكعكة، لينتهي الأمر بتحولها بدورها إلى مجرد "شركات فرعية" للرياضة. هذا الأمر، أي تحويل الرياضة إلى سياسة، يمكن أن يمتد نطاقه وينطبق أيضا على الصحافة العامة.

أزمة الإعلام الرياضي الحالي زادت حدتها بسبب رغبة تحويل الصحفيين إلى مهرجين، يرتدون قمصان الأندية على صدورهم ويُنسَب إليهم الوقوف في خنادق معينة.

وضمن هذا الانزلاق يرى سنتياغو سيغورولا، الصحفي الإسباني الذي شغل مناصب عدة في يوميات "إلبابيس" و"ماركا" و"أس" أن أزمة الإعلام الرياضي الحالي زادت من حدتها رغبة تحويل الصحفيين إلى مهرجين، يرتدون قمصان الأندية على صدورهم ويُنسَب إليهم الوقوف في خنادق معينة، ويتعين عليهم في كل يوم التصرف مثل الشخصية التي صُنِعَت لهم أو تلك التي صنعوها هم بأنفسهم لأنفسهم، وهي صحافة مخيبة للآمال حسب تقديره.

تلك سردية يسهل تلمُّسها في قطاع لا يختلف اثنان حول حمولته "الفُرْجَويَّة" واستسلامه لسيل الحشود، فالصحافة الرياضية من جهة هي منتوج استهلاكي "رائع" لأنه يمثل منفعة اقتصادية لا تخلو من جاذبية تجارية ومن قدرة على المنافسة في السوق بشكل موثوق به. ومن جهة أخرى تُعتَبر الرياضة أيضا واحدا من أكبر العروض في الوقت الحاضر، لذا فإن وسائل الإعلام المتخصصة في هذا القطاع تعد قليلة التكلفة وفي متناول المتلقي كلما أراد الابتعاد عن "رتابة الأخبار السياسية" للاقتراب من الترفيه عن نفسه.

إنها الحاجة التي زادت من نهم شركات الإعلام الرياضية، التي اكتشفت أن استبدال الخبر بالرأي هو "الطوق" الجديد في عهد الإنترنت وإعلام "الوجبات السريعة"، فكان أن قامت المواقع والجرائد وكل وسائل الإعلام الرياضية، حسب الصحفي الإسباني ماركو غونثالث، بتعديل خطوطها التحريرية وفق رغبات مجموعات تتقاسم نفس الاهتمامات والميول.
هنا -يضيف ماركو- بات مقبولا

التلاعب بالمعلومات عبر استخدام التفاصيل التقييمية الدقيقة التي تدافع عن موقف معين، وهو موقف الجمهور، وبهذه الطريقة يقرأ المتلقي ما يريد أن يراه أو يسمعه، دون منح أي أهمية لصحة المعلومات المقدمة. وبذلك تم تقليص الرياضة إلى عرض ترفيهي بسيط، على حد تعبيره، تقترب أساليب إنتاجه اللامحدودة فعلا من أساليب "الصحافة الصفراء"

الصحافة الرياضية هي منتوج استهلاكي «رائع» لأنه يمثل منفعة اقتصادية لا تخلو من جاذبية تجارية ومن قدرة على المنافسة في السوق بشكل موثوق به (تصوير: سيسك مايمو - غيتي).

التي تلهث وراء أخبار مشاهير الفن والمجتمع.

في هذا الطريق ضاعت الموضوعية وتخلى مديرو أهم الصحف الإسبانية عن أبجديات المهنة للانضمام في شق كرة القدم إلى "ثنائية البارسا والريال"، وهكذا أصبحت بعض وسائل الإعلام الرياضية في إسبانيا ماكينات "للبروباغاندا" تدافع عن مصالح الأندية بشتى الطرق، أحيانا عبر "الاغتيال المعنوي" للغريم، وأحيانا أخرى عبر المتاجرة بمشاعر القارئ المشجع.

عناوين صفراء وحروب كلامية وفكاهة سمجة وآراء بدل المعطيات، غيضٌ من فيض أصبح نهجا جديدا يعمِّر فضاءً لا مجال فيه للموضوعية والنأي بالنفس عن ظلال إدارات أندية واتحادات بسطت سطوتها على المهنة.

لكن هذا الرضوخ لسلطة شركات

> **شركات الإعلام الرياضية اكتشفت أن استبدال الخبر بالرأي هو «الطوق» الجديد في زمن الإنترنت وإعلام «الوجبات السريعة»، فكان أن قامت وسائل الإعلام بتعديل خطوطها التحريرية وفق رغبات مجموعات تتقاسم نفس الاهتمامات والميول.**

الإعلانات وثنائية الريال والبارسا يبدو أنه لم يوفر حلولا لـ "كبار" الإعلام الرياضي في إسبانيا، ففي بيانات السجل التجاري يتضح أن صحفا مثل "ماركا" و"أس" و"إلموندو ديبورتيفو" فقدت في السنوات الأخيرة ستين في المئة من عائداتها. فعلى سبيل المثال، شهدت سنة 2020 -التي تزامنت مع جائحة كورونا- انخفاض توزيع صحيفة "أس" بنسبة 35 في المئة، بينما تراجع في حالة جريدة "ماركا" بنسبة 42 في المئة، وبنسبة 31 بالمائة بصحيفة "إلموندو ديبورتيفو". أرقامٌ كبدت خسائر بملايين اليوروهات لكبرى المجموعات الإعلامية الإسبانية، التي تقف عاجزة أمام المنافسين الرقميين الجدد الذين يستحوذون الآن على ما يناهز سبعين بالمئة من استثمارات المعلنين.

هي شراسة تنافسية قد تكون فقرة مقنعة في عريضة دفاع من يدير منابر استنزفت كل مقدراتها للتصالح مع قرائها، لكنها بالمقابل قراءة منقوصة تخفي الجزء الأهم من أسباب الجفاء، فكما حدث مع مثيلاتها السياسية تعاني المنابر الرياضية من تراجع ثقة القراء، الذين يأخذون عليها الابتعاد عن اهتماماتهم والرضوخ لمراكز القوى في حقبة تعددت فيها الوسائط للحصول على أخبار بديلة والوصول إلى المصادر دون كثير عناء.

أصبحت بعض وسائل الإعلام الرياضي ماكينات «للبروباغاندا» تدافع عن مصالح الأندية بشتى الطرق، أحيانا عبر «الاغتيال المعنوي» للغريم، وأحيانا أخرى عبر المتاجرة بمشاعر القارئ المشجع (تصوير: كريستوف كوبسيل - غيتي).

موقع كووورة.. قصة نجاح عربي في الصحافة الرياضية

أيمن المهدي

يمثل موقع «كووورة» نموذجا للمنصات الرياضية العربية الناجحة. خلال مسار تطوره، استطاع الموقع أن يبني قاعدة كبيرة من الجمهور. أيمن المهدي، رئيس تحرير الموقع، يبرز في هذا المقال أسباب نجاح تجربة أصبحت بإشعاع دولي.

في الأول من سبتمبر/أيلول عام 2002، كان العالم العربي على موعد مع ميلاد موقع كبير على شبكة الإنترنت. نجح منذ الخطوات الأولى في جذب عشاقه من جميع الأنحاء، في وقت كان فيه عالم الإنترنت حديثًا بعض الشيء على وطننا العربي. إنه موقع كووورة العربي الرائد في عالم المحتوى الرياضي، الذي نجح خلال مسيرته الممتدة طوال 20 عامًا في أن يكون رقمًا صعبًا، على مدار جميع مراحل تطوره. التأسيس جاء بمملكة البحرين على يد خالد الدوسري، الذي حلم بهذه الفكرة وسعى وراء تنفيذها بكل جهد حتى رأت النور، وأضحت علامة بارزة في عالم الرياضة، تتبوأ الصدارة في مجال تقديم المحتوى الرياضي المتميز ليصبح الموقع العربي الرياضي الأول.

المنتديات ودورها الرائد

البداية كانت من خلال المنتديات الرياضية المختلفة، التي نجحت في مهمتها وحققت هدفها الأول بتوفير قاعدة شعبية واسعة للجماهير الرياضية، لتبادل الآراء والنقاش حول نتائج الفرق، والمسابقات العالمية والمحلية في العديد من الرياضات.

وكانت المنتديات بمثابة وسيلة اجتماعية تعرف عليها شباب الوطن العربي، وتعارفوا من خلالها على بعضهم، لتنجح في أن تصبح ملتقى للشباب المهتم بعالم الرياضة، الذين بات أغلبهم فيما بعد من رواد العمل الرياضي بالوطن العربي.

وأشرف عشرات من المتطوعين على المنتديات، وساهموا في نجاح المهمة من خلال مهام الإشراف والرقابة، التي اعتمدت على الحوار الهادف البعيد عن التعصب والخروج عن النص. وفتح كووورة الباب أمام جميع الرياضات ليكون لها نصيب من التحاور والتباحث ونقل الأخبار من خلال هذه المنتديات، حيث لم يكن الأمر مقتصرًا على كرة القدم فقط.

واعتمد الموقع في بداياته على مساهمات المتطوعين من خلال نشر الأخبار، التي يحصلون عليها من كافة المصادر في الوطن العربي، وبعدها بفترة أضيف لها أخبار من وكالات الأنباء مثل رويترز والوكالة الألمانية، في محاولة أولى لتقديم محتوى ذي طابع احترافي يحظى بمصداقية كبيرة.

وفي نفس الوقت، كان كووورة رائدا في النقل المباشر لنتائج المباريات من كافة أنحاء العالم، ليس لكرة القدم فقط بل للعديد من الألعاب الرياضية، وتحديدا الألعاب الجماعية والتنس، ومن بطولات كان من الصعب أن تجد نتائجها إلا في كووورة، ليكون التساؤل الأكثر تداولاً بين الجميع: كيف تستطيعون تقديم كل ذلك؟

أيمن المهدي رئيس تحرير كووورة في لقاء مع بي بي سي الانجليزية أثناء مباراة مصر وروسيا بمونديال روسيا 2018 (موقع كووورة).

التحول الاحترافي

مع تسارع نجاح كووورة وجماهيريته وارتباط الجماهير به من المحيط للخليج، انتقل الموقع إلى عصر الاحتراف في الصحافة الإلكترونية، وذلك مع نهاية عام 2010، حيث بدأ تشكيل فريق تحرير كبير، مكون من شبكة من المراسلين حول العالم، إذ تتواجد فريق من المراسلين في جميع الدول العربية، بالإضافة إلى محررين في بعض العواصم العالمية. وفي عام 2012 انتقل الموقع إلى دبي في إطار خطة توسع، تهدف إلى زيادة طاقم التحرير بنسبة 100٪، ليصل العدد إلى حوالي 80 شخصًا بحلول عام 2015.

وإلى جانب المراسلين، يمتلك الموقع أقوى فريق ترجمة وتحليل مختص بالبطولات

العالمية والدوريات الأوروبية المختلفة، حيث نجح في إجراء حوارات مختلفة في إسبانيا وإنجلترا، نشرتها عن كووورة الصحف والمواقع العالمية، مثل ماركا الإسبانية، وذا صن الإنجليزية، وأيضا وكالات الأنباء على غرار رويترز.

البداية كانت من خلال المنتديات الرياضية المختلفة، التي نجحت في مهمتها وحققت هدفها الأول بتوفير قاعدة شعبية واسعة للجماهير الرياضية.

واعتمد الموقع على تغطية البطولات العالمية من قلب الحدث، مثل مونديالي 2014 و2018، ودوري أبطال أوروبا، وكذلك البطولات العالمية والقارية، والأحداث المختلفة حول العالم.

ولم ينفصل الموقع مطلقًا عن التطورات السريعة للصحافة الرياضية الرقمية، حيث اقتحم عالم إنتاج الفيديوهات المتنوعة، سواء السريعة التي لا تستغرق أكثر من 3 دقائق، أو الحلقات الحوارية المختلفة، وأيضا البرامج التحليلية التي استضافت العديد من نجوم التحليل في الوطن العربي.
ومع التطور المذهل لوسائل التواصل الاجتماعي، دخل كووورة المنافسة بقوة على منصات التواصل الاجتماعي، وواكب هذا التطور التكنولوجي، حيث يتابعه أكثر من 2,4 مليون شخص على تويتر، و5,6 مليون على فيسبوك، و2,2 مليون على إنستغرام، ومليونا شخص على سناب شات، و300 ألف متابع على يوتيوب.

أرقام لها معنى

ويغطي كووورة نحو 40 رياضة مختلفة، وتمثل كرة القدم حوالي 85٪ من نشاطه، والتنس 10٪، وتشمل النسبة المتبقية الألعاب الرياضية الأخرى، ويمكن القول إن كووورة ليس مجرد موقع واحد، بل هو مجموعة كبيرة من المواقع لدول وألعاب وبطولات مختلفة، ويزور الموقع الرياضي العربي الأول حوالي 25 مليون زائر شهريًا من جميع دول العالم.
وينتج فريق التحرير حوالي 300 خبر يومي، ويتنوع هذا المحتوى الضخم ما بين الأخبار المستقاة من المصادر العالمية المختلفة، والموضوعات التحليلية والتقارير التي تفجر وتناقش العديد من القضايا، سواء العربية أو العالمية.

وتعتمد سياسة تحرير الموقع على الاحترافية في العمل، من خلال الحياد التام، واستقاء المعلومة وتحريرها من قبل فريق تحرير رياضي محترف، مع المراجعة الدقيقة لكل معلومة، لتصل للزوار سليمة وصحيحة تمامًا، إلى جانب التركيز على السرعة في نقل الخبر وبمصداقية كبيرة، وهو ما يمثل التحدي الأكبر بالنسبة لهيئة تحرير الموقع.

ويمتلك كووورة أرشيفًا ضخمًا، حيث إن لديه أكثر من مليوني مباراة تاريخية، وينضم إلى مكتبة الأرشيف حوالي 10 آلاف مباراة شهريًا، إضافة إلى قاعدة بيانات كبيرة عن اللاعبين والأندية والبطولات.

شراكات مثمرة

ومع النجاح المتتالي لموقع كووورة، وشعبيته الكبيرة في الوطن العربي، أصبح شريكًا استراتيجيًا للعديد من المؤسسات العالمية، أبرزها حفل توزيع جوائز جلوب سوكر العالمية، بالتعاون مع مؤتمر دبي الرياضي الدولي، الذي ينظمه مجلس دبي الرياضي، والذي يحضره نجوم كرة القدم والمدربين ورؤساء الأندية على مستوى العالم.

كما قطع موقع كووورة خطوة كبيرة، بالدخول في شراكة حصرية عام 2015 مع شركة بيندوني للاستشارات، التي تتولى تنفيذ حفل جلوب سوكر العالمي، ليصبح شريكًا استراتيجيًا وناقلاً رقميًا لأحداث وفعاليات الحفل.

ومباشرةً، بدأ موقع كووورة في ترك بصمته، من خلال إطلاق عدة جوائز خلال النسخ المختلفة لهذا الحدث، وتوج بهذه الجوائز أسماء كبيرة، أمثال السعودي ياسر الشهراني والإماراتي عموري والمغربي

يشكل موقع كووورة نموذجا للمقاولة الإعلامية الناجحة (موقع كووورة).

عبد الرزاق حمد الله، والنجم المصري محمد صلاح، إضافة إلى الأسطورة البرتغالي كريستيانو رونالدو، كما فاز بالجائزة الهلال السعودي على مستوى الأندية، والمنتخب السعودي على صعيد المنتخبات.

كما دخل كووورة في العديد من الشراكات الأخرى، خصوصًا مع مجلس دبي الرياضي، ونادي أتلتيكو مينيرو البرازيلي، ورابطة التنس للمحترفين ATP.

جوائز كووورة وقصة الموقع العربي الأول

ونظرًا لأن كووورة بدأ قويًا، واستمر في مواكبة التطور طبقًا لأحدث وسائل الإعلام الرقمي العالمي، فقد نال العديد من الجوائز العالمية والعربية خلال مشواره، منها على سبيل المثال لا الحصر جائزة أفضل موقع عربي رياضي، وفقًا لقائمة الطبعة العربية لمجلة فوربس الأمريكية "فوربس الشرق الأوسط" عام 2012.

وفي عام 2014، حصد "كووورة" الجائزة الأولى كأفضل موقع رياضي عربي، متفوقًا على جميع المواقع الرياضية من المحيط إلى الخليج، في المنتدى الرابع للصحافة الإلكترونية الذي أقيم في مصر.

يتابع موقع كووورة أكثر من 2,4 مليون شخص على تويتر، و5,6 مليون على فيسبوك، و2,2 مليون على إنستغرام، ومليونا شخص على سناب شات، و300 ألف متابع على يوتيوب (موقع كووورة).

ولم تتوقف نجاحات كووورة، ففي عام 2021 حصل على جائزة أفضل موقع رياضي في الشرق الأوسط، خلال حفل توزيع جوائز مهرجان الإسكندرية للإبداع الرياضي "الموسم الرابع".

وفي وقت سابق من الشهر الجاري (أكتوبر/تشرين الأول 2022)، حصل موقع كووورة على جائزة الإعلام الرقمي كأفضل منصة رياضية عربية، خلال منتدى الإعلام العربي بدبي. وتأتي الجائزة تأكيدًا على تميز كووورة، الموقع الرياضي الأول بالشرق الأوسط، الذي يهتم بجودة وشمولية المعلومة، وسرعة نشر الأخبار الرياضية وإيصالها للقارئ بأدق التفاصيل.

استعدادات مختلفة للمونديال

وتميز كووورة على مدار 12 عامًا في تغطية المونديال من قلب الحدث، حيث اهتم دائمًا بالبحث فيما وراء الخبر، والانفراد بلقطات لم يرصدها سوى كووورة لزواره، سواء نصية أو مصورة، على الموقع الرسمي وجميع منصات التواصل الاجتماعي.

ويعتبر مونديال قطر الحدث الأهم بالنسبة لكووورة، حيث تقام بطولة كأس العالم في دولة عربية للمرة الأولى، لذا بدأ الموقع في تغطية المونديال منذ صيف 2021.

> **"اعتمد الموقع في بداياته على مساهمات المتطوعين من خلال نشر الأخبار، التي يحصلون عليها من كافة المصادر في الوطن العربي."**

وتم اعتماد رقم "22" في التغطية لعدة أسباب، أهمها أن البطولة عام 2022، وعدد دول الوطن العربي 22، كما أن مونديال قطر هو النسخة رقم 22 في تاريخ كأس العالم، بالإضافة إلى أن عدد المصوتين لقطر من أجل تنظيم المونديال كانوا 22 أيضًا.

وستكون التغطية تحت شعار "هذي ديارنا"، نظرًا لأن هذا المونديال يخص كل العرب.

وبدأت التغطية المكثفة على الموقع بشكل مبكر جدًا، وتحديدًا يوم 22-2-2022، وتم الانتهاء من مرحلتين، بينما تستمر المرحلة الثالثة حاليًا قبل انطلاق المونديال، فيما تأتي التغطية من كل أنحاء الوطن العربي، وتحديدًا من الدول التي تأهلت لكأس العالم، مع الاهتمام أيضًا بالموضوعات التاريخية والأرشيفية.

ويستعد فريق كبير من محرري ومصوري كووورة، المعتمدين لدى الفيفا، للذهاب إلى قطر قبل انطلاق البطولة مباشرةً، من أجل نقل كل كبيرة وصغيرة لزوار الموقع، الذين اعتادوا على تغطية مختلفة في كل مونديال.

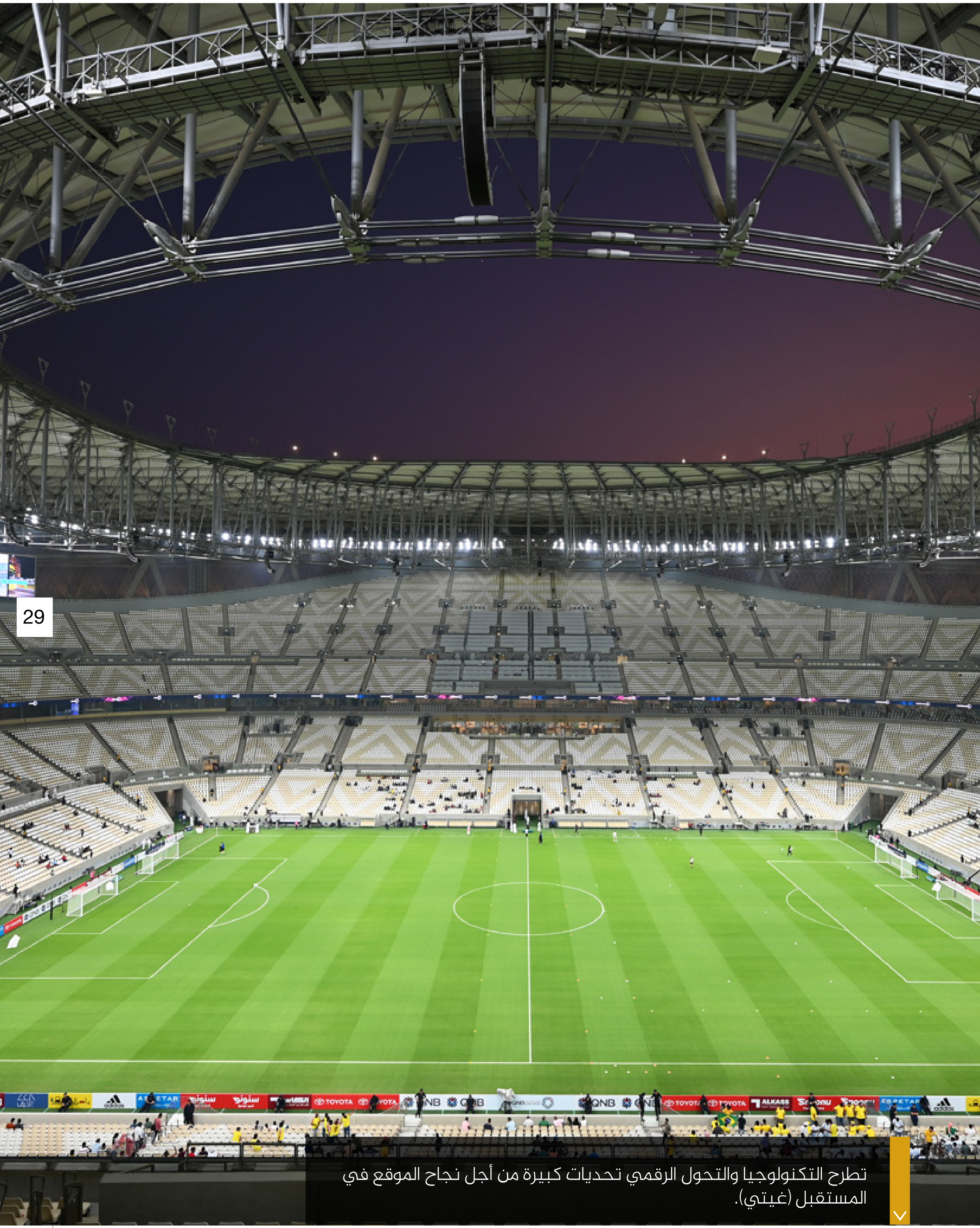

تطرح التكنولوجيا والتحول الرقمي تحديات كبيرة من أجل نجاح الموقع في المستقبل (غيتي).

الصحافة الاستقصائية الرياضية أسيرةً لرؤوس الأموال

إلياس بنصالح

مع تشعب فروع الرياضة وتشابكها بالسياسة والمصالح الاقتصادية، فإن دور الصحافة الاستقصائية في المجال الرياضي أصبح حيويا أكثر من أي وقت مضى. تقاوم بعض المنصات الجديدة في كشف الفساد الرياضي، لكن حصيلتها ما تزال ضعيفة.

تحظى الرياضة خاصة كرة القدم بشعبية كبيرة، لكن الفساد يمكن أن يقوّض نزاهتها. وفي العالم ألغيت نتائج ونزلت فرق وسجن مسؤولون ووقف رؤساء أندية واتحادات وطنية وقارية أمام حكام العدالة بتهم تتعلق بالفساد الرياضي.

أما في العالم العربي، فلا يمكن التشكيك في أن آفة الفساد مستشرية في جذور مجالات عدة، ومنها الرياضة ولا سيما كرة القدم باعتبارها الرياضة الشعبية الأولى في العالم أجمع.

في هذا السياق، للصحفي الاستقصائي الحق في استخدام كل الطرق المشروعة والأساليب التقنية الحديثة لكشف التجاوزات؛ ذلك أن بعض الدول عملت على توفير كل الإمكانيات للصحافة الاستقصائية لمواجهة الفساد وتوفير المعلومات اللازمة للجمهور وللجهات الأمنية والقضائية والإدارية لتصحيح المسار أو معاقبة المذنبين.

لعل من أهم القضايا التي طرحت في العالم العربي خلال السنوات الأخيرة؛ تحقيق "طرد مباشر.. كيف فقدت مصر ثلث رياضييها في 10 أعوام؟" وهو أحد أبرز التحقيقات الاستقصائية التي أثارت اهتماما كبيرا في مصر. ونشر هذا التحقيق الصحفي أحمد عبد الحميد للبحث في أسباب مقاطعة أكثر من 350 ألف رياضي مجالاتهم، أي ما يعادل ثلث الرياضيين في مصر بين سنتي 2010 و2019 وذلك لأسباب مختلفة.

وفسر التحقيق الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع الرهيب بضعف المنظومة الطبية في مصر وفق استطلاع رأي شمل 200 رياضي كما

استشهد بعدد من المختصين في هذا المجال منهم رضا إبراهيم، الأستاذ في كلية التربية الرياضية، الذي أكد أن "المشكلة الأكبر في ملف الطب الرياضي بمصر تكمن في عدم وجود وحدات للطب الرياضي داخل الأندية، موضحًا أنه داخل أي منشأة رياضية يجب أن يتكون [الفريق الطبي] من طبيب عظام، وطبيب علاج طبيعي، وأخصائي تأهيل رياضي (خريج كلية التربية الرياضية)".

كما أن ضعف ميزانية القطاع الرياضي يعتبر سببا جوهريا لعزوف الرياضيين عن هواياتهم التي تكاد تكون مهنا لهم، حيث رصد التحقيق أن نسبة الميزانية المخصصة للقطاع الرياضي من الإجمالي العام للموازنة بلغت 0,6 في المئة في سنة 2010، وتراجعت في سنة 2019 إلى 0,4.

من جهة أخرى تعتبر منظمة "أنا يقظ" من أهم المنظمات التونسية التي تعمل على فضح الفساد، وهي منظمة غير ربحية تونسية، تأسست في 21 مارس 2011، ولها دور رقابي وتهدف إلى مكافحة الفساد المالي والإداري وتدعيم الشفافية في البلاد.

وفي هذا السياق، تناولت أنا يقظ عدة ملفات تتعلق بمجال كرة القدم في تونس منها تحقيق " شبهات فساد وتلاعب في صفقات زي المنتخب التونسي" الذي أحدث ضجة واسعة في الوسط الرياضي التونسي.

ووجهت المنظمة أصابع الاتهام إلى الاتحاد التونسي لكرة القدم بعد صفقة الألبسة الرياضية مع شركة "UHLSPORT" الألمانية

حيث تبين حسب التحقيق أن الاتحاد تعامل مع شركة وسيطة تونسية تمتعت بإعفاء جمركي عند توريد كافة الملابس والمعدات الرياضية المعروضة بمحل أحد المسؤولين بفضل الصفقة المبرمة مع الاتحاد التونسي.

ونقلا عن مصادرها فقد أكدت أنا يقظ أن قيمة الصفقة فاقت 500 ألف دولار، وهو مبلغ ضخم مقارنة بمستلزمات المنتخبات الوطنية.

غياب التخصص في الصحافة الاستقصائية

طالما طرحت وسائل إعلام عربية ملفات التلاعب بالنتائج أو رشوة الحكام لتغليب فريق على آخر أو إبرام صفقات مشبوهة مع لاعبين.

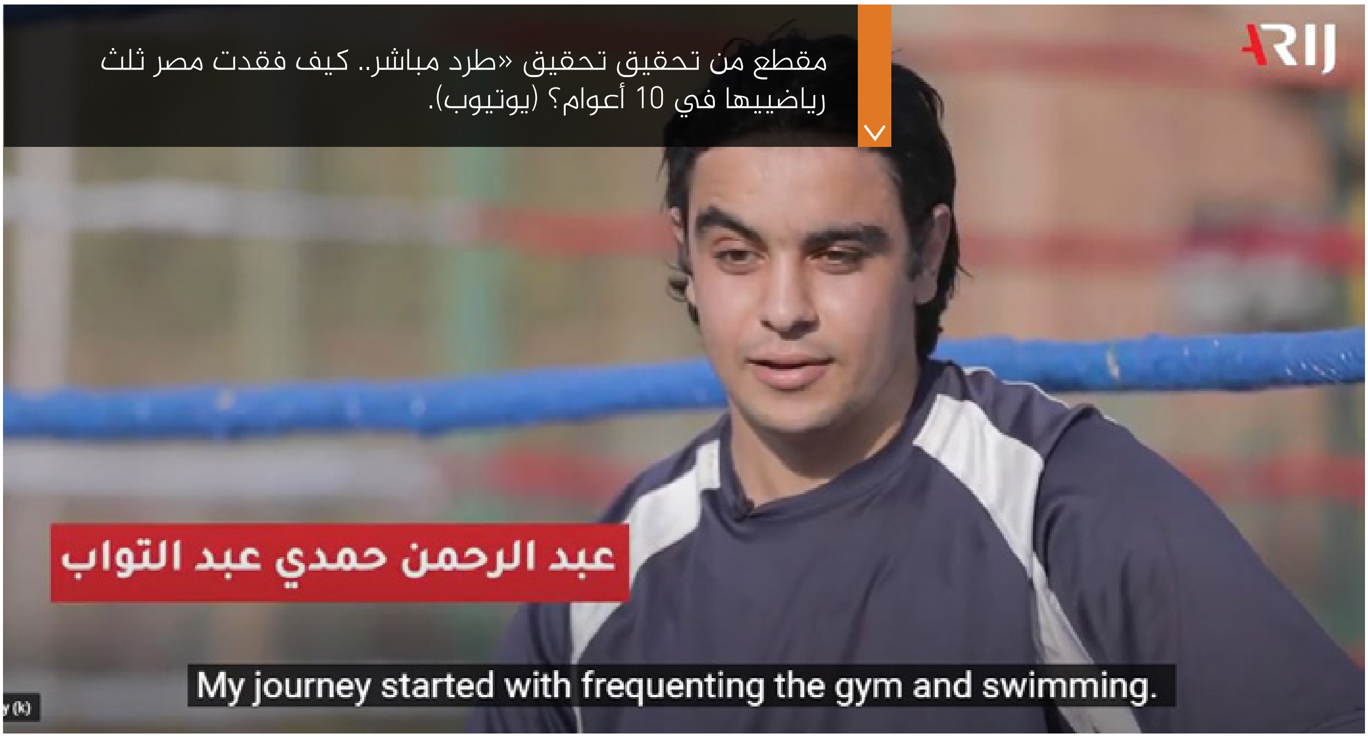

مقطع من تحقيق تحقيق «طرد مباشر.. كيف فقدت مصر ثلث رياضييها في 10 أعوام؟ (يوتيوب).

> **أبـرز تحقيـق اسـتقصائي أسـباب مقاطعة أكثـر مـن 350 ألـف رياضـي مجالاتهـم، أي مـا يعـادل ثلـث الرياضييـن فـي مصـر بيـن سـنتي 2010 و2019 وذلـك لأسـباب مختلفـة.**

لكـن هـذا الطـرح سـيطر عليـه الطابـع الإخبـاري ولـم يكـن بغاية الاسـتقصاء عـن الحقيقـة أو الكشـف عـن تفاصيـل تسـاعد علـى معرفـة الحقيقـة كاملـة.

الأكاديمـي والباحـث فـي مجـال الإعـلام، الدكتـور صـادق الحمامـي يقـول إن "عـدد المقـالات الاسـتقصائية فـي المجـال الرياضي تـكاد تكـون شـحيحة بـل ويشـك فـي وجـود صحفيين متخصصيـن فـي هـذا المجـال لأن الصحافـة الرياضيـة بالأسـاس تعيـش أزمـة فيمـا يتعلـق بأخلاقيـات المهنـة لا سـيما فـي تونـس، بسـبب أن العديـد مـن هـؤلاء الصحفييـن لـم يتلقـوا تدريبـات فـي الصحافة أو تكوينا أصليـا فـي هـذا المجـال".

يتميـز المشـهد الإعلامـي فـي تونـس بالتضـارب بيـن ماهـو سياسـي ورياضـي حيـث إن رؤوس الأمـوال هـي التـي تسـيطر علـى وسـائل الإعـلام والأنديـة الرياضية فـي آن واحـد، وبالتالـي لا يُسـمح للصحفييـن بالعمـل بحريـة واسـتقلالية، رغـم أن نقابـة الصحفييـن والمنظمـات الوطنية والعالميـة شـددت علـى عـدم التدخـل فـي عمـل الصحفـي.

من تحقيق شبهات فساد وتلاعب في صفقات زي المنتخب التونسي (مواقع التواصل).

ومـن جهـة أخـرى يجـد الصحفيـون أنفسـهم مرغميـن علـى ربـط علاقـات منفعيـة وحتـى انتهازيـة مـع النـوادي بسـبب ضعـف أجورهـم، وبالتالـي يتخلـون عـن مهامهـم الأصليـة. الصحفـي الاسـتقصائي بموقـع انكفاضـة، عيسـى زياديـة، يؤكـد أن العديـد مـن التحقيقـات الصحفيـة فـي السياسـة والاقتصـاد والقضايـا الاجتماعيـة فـي اليمـن ومصـر وتونـس سـاهمت فـي الرفـع مـن درجـة الوعـي لـدى المواطنيـن كمـا سـاهمت فـي تنقيـح القوانيـن وفتـح ملفـات قضائيـة. أما علـى الصعيـد الرياضـي، فالتنـاول الإعلامـي يقتصـر فـي غالـب الأحيـان علـى الإخبـار لا علـى البحـث عـن الحقيقـة رغـم أن الأرضيـة خصبـة، بسـبب تنـوع الملفـات والقضايـا؛ كصفقـات الإعلانـات وحقـوق بـث المباريـات ومشـاريع البنيـة التحتيـة وتكوين الشـبان وانتخابـات مجالـس إدارات الأنديـة واتحـادات كـرة القـدم وتشـابك العلاقـات الرياضيـة بالسياسـية وتعيينـات الحـكام وشـركات الرهـان الرياضـي وغيرها.

لا تتحقق مقاصد الصحافة الاستقصائية إلا في بيئة ديمقراطية

وفـق تصـور الدكتـور صـادق الحمامـي؛ فـإن المواقـع التـي تنشـر تحقيقـات اسـتقصائية لا تحظـى بمتابعـة كبيـرة مـن وسـائل الإعـلام "وتمـر دون ضجة كبيـرة".

ويقـارن الحمامـي بيـن تأثيـر التحقيقـات التـي ينجزهـا صحفيـون فرنسـيون وبيـن التحقيقـات التـي ينجزهـا صحفيـون عـرب، ويـرى أن الفـرق يكمـن فـي قـدرة وسـائل الإعـلام الفرنسـية، مـن إذاعـات ومحطـات تلفزيونيـة ومواقـع إلكترونيـة، علـى تحويـل محتويـات التحقيقـات إلـى قضايـا رأي عـام.. "لكـن انحسـار مسـاحة الحريـة فـي العالـم العربـي، يحـد مـن

قدرة الصحفيين على الاستقصاء في المجال الرياضي".

إن هاجس الصحفي الرياضي في العالم العربي عادة ما يكون نشر مقالات ومعلومات حصرية عن لاعب أو ناد معين قبل منافسيه، وهو بذلك يكون قد أرضى رئيس التحرير بسبق صحفي لاقى تفاعلا

> يجد الصحفيون أنفسهم مرغمين على ربط علاقات منفعية وحتى انتهازية مع النوادي بسبب ضعف أجورهم، وبالتالي يتخلون عن مهامهم الأصلية.

كبيرا على مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن جانب آخر ليس من مصلحة الصحفي الرياضي في اعتقاد الكثيرين كشف الحقائق وفضح الفاسدين لأن ذلك يجعله مرفوضا لدى الأطراف التي يعتبرها مصادر أساسية في عمله كالمسؤولين واللاعبين والحكام والإعلاميين المشهورين بحيث يكون محروما من حقه في المعلومة عند طلبها.

يرى الصحفي الاستقصائي المصري محمد علي زيدان أن الصحفيين يسعون إلى تحرير مقالات إخبارية عادية، ودائما ما يكون هدفهم إرضاء مصادرهم، "وطريقة تفكير الصحفي الاستقصائي والصحفي العادي مختلفة تماما، فالاستقصائي يسعى دائما للكشف عن الحقيقة بينما يوثر الصحفي العادي ربط علاقات تساعده على الظهور وتسهل عمله"، بينما يؤكد الصحفي المغربي حمزة شتيوي أن "العصر الحالي أصبح لا يحتمل القيام بتحقيقات استقصائية تحتاج إلى وقت كثير من أجل البحث عن الحقائق، في الوقت الذي نعيش فيه على وقع عصر السرعة في نقل المعلومة. فمن الطبيعي، بناء على ذلك، أن يكون الصحفي مركزا فقط على تناول الأخبار اليومية ونشرها للجمهور بطريقة سريعة عبر

يتميز المشهد الإعلامي في تونس بالتضارب بين ماهو سياسي ورياضي حيث إن رؤوس الأموال هي التي تسيطر على وسائل الإعلام والأندية الرياضية في آن واحد (غيتي).

«زيزو».. مصور رياضي يطارد كأس العالم

بسام غبر

قد ينجح المصور الصحفي الرياضي في التقاط زوايا لا يستطيع الوصول إليها الصحفي الرياضي خاصة حينما يتعلق الأمر بتغطية الأحداث الكبرى. هذه تجربة المصور الرياضي عبد العزيز عمر الذي غطى أربع بطولات لكأس العالم.

في بلد مثل اليمن، من الصعب أن تمارس مهنة الصحافة الرياضية، والأصعب من ذلك أن تصبح مصورا رياضيا، لكن تجربة المصور عمر عبد العزيز في تغطية الأحداث الكبرى تستحق أن تروى.

كمصور رياضي، لا بد أن تتجرد من الانحياز أثناء تغطياتك، وتنسى تشجيعك لهذا الفريق أو ذاك، وعليك أن تتحلى بالروح الرياضية، والاستمتاع باللعب، كمصور تشبع عدستك، لا أن يفوز فريقك". هكذا يقول المصور الرياضي اليمني عبد العزيز عمر.

ويقول عبد العزيز: "تذكر أن الجمهور خلفك، فلا تدعه يصنفك، فالمكان الذي أنت فيه، هو ميزة لك كمصور، ومن ينفعل ويصدر حركات تجاه فريق ما، مكانه في المدرجات بين الجمهور".

"زيزو" هو الاسم الذي اشتهر به عبد العزيز عمر في الوسط المهني باليمن، ومثّل أيقونته ورمزا من رموزه -إن لم يكن الرمز الأول- طيلة 40 عامًا، اكتسب فيها رصيدًا وافرًا من الخبرة والاحترافية؛ نتيجة تغطيته لأحداث وفعاليات رياضية عالمية، أبرزها بطولات كأس العالم 1998، 2002، 2010، و2014.

إضافة إلى عمله مراسلًا في اليمن للعديد من المجلات الرياضية، أبرزها مجلة (FIFA Magazine)، اعتمد مصورًا محترفًا لدى الاتحاد الدولي لكرة القدم "الفيفا"، والاتحاد الآسيوي، الأوروبي، والأفريقي لكرة القدم.

حفر عبد العزيز اسمه في عالم التصوير الاحترافي داخل بلاده بطريقة جعلت منه مرادفًا لمفهوم "التصوير الرياضي". ولعل ذلك يعود إلى الهوية التي صنعها لنفسه. ويقول في هذا السياق: "لكل مصور شخصية وأسلوب في التصوير، فقد تتشابه الكاميرات وتتطابق إعداداتها، وربما الزاوية نفسها، لكن الاختلاف يكمن فيك أنت كصانع للصورة".

يعتمد التصوير الرياضي على الحركة، ويحاول جاهدًا مواكبتها وتجسيدها بكل تفاصيلها؛ لهذا يُصنف كأحد أصعب فنون التصوير، ويتحول فيه المصور إلى صياد للحظة، مستنفرا كافة حواسه للحصول على زاوية جيدة.

ومع أن "زيزو" يفضل أن يكون المصور الرياضي ممارسًا للرياضة، إلا أنه لا يعده شرطًا أساسيًا، كضرورة أن يمتلك ثقافة متجذرة في الرياضة، ويكون على دراية كاملة بقواعد وقوانين اللعبة التي يصورها. إضافة إلى ذلك، لا بد للصحفي الرياضي أن يكون شغوفا متمتعا بحس مرهف تجاه ما يدور حوله وسرعة بديهة وتركيز عال، وهي مقومات تكوّن شخصيةً المصور الرياضي. ويعتبر تغطية

المصور عبد العزيز عمر.

الرياضات الشعبية والدوريات المحلية والمداومة عليها، من أفضل الطرق للوصول إلى الاحترافية.

"في مباريات الساحرة المستديرة، تتفاوت وتتنوع الأحداث بحسب طبيعية المباراة، فعندما تكون قوية وحيوية، تستمتع فيها، تحفزك لتترقب كل حدث وما سيصدر من تفاعلات، وتتحين عدستك لاقتناصها. في حين أن المباراة المملة، تستدعي منك أن تجتهد أكثر للبحث عن ضالة عدستك، وتتحسس مواطنها. وفي كلتا الحالتين، لا بد أن يكون لديك رؤية كاملة على نطاق 360 درجة أثناء المباراة، وجميع حواسك تعمل" حسب زيزو.

وتختلف معطيات الجمهور فيما يمكن التقاطه، إلا أن زيزو يؤكد "أن تجعل عدستك ترصد تفاعل المشجعين، كأن تجسد صدمة من خلال لقطة لمشجع متأثر بحسرة نتيجة هدف سُجل في مرمى فريقه، أو أن يلفت انتباهك وجه طريف ملون بعلم بلد أحد المنتخبات، أو أن تقتنص صورة يجتمع فيها شخصان، أحدهما يضع على رأسه شماغًا عربيًا والآخر قبعة أمريكية، برزت كلوحة تعكس تلاقي ثقافتين، وأي تناقض يشبه هذه اللقطة يصبح هدفا للعدسة".

وباستخدام العدسات الطويلة البعد البؤري، تقوم بتقريب اللاعب والبحث عن ملامحه الأمامية. كما أن تصوير اللاعبين من الخلف غير مرغوب، إلا إذا كانت الصورة ذات دلالة أو معبرة عن فكرة، وهذه تخضع لحس المصور، فمثلا تصادف وقوف اللاعب رقم 22 بجانب اللاعب رقم 20، فهذه لقطة تحمل محاكاة لمونديال قطر 2022، أو سقوط لاعب ويأتي الخصم يمد له يده، فهي صورة تتحدث عن اللعب النظيف والروح الرياضية.

"لكل مصور شخصية وأسلوب في التصوير، فقد تتشابه الكاميرات وتتطابق إعداداتها، وربما الزاوية نفسها، لكن الاختلاف يكمن فيك أنت كصانع للصورة."

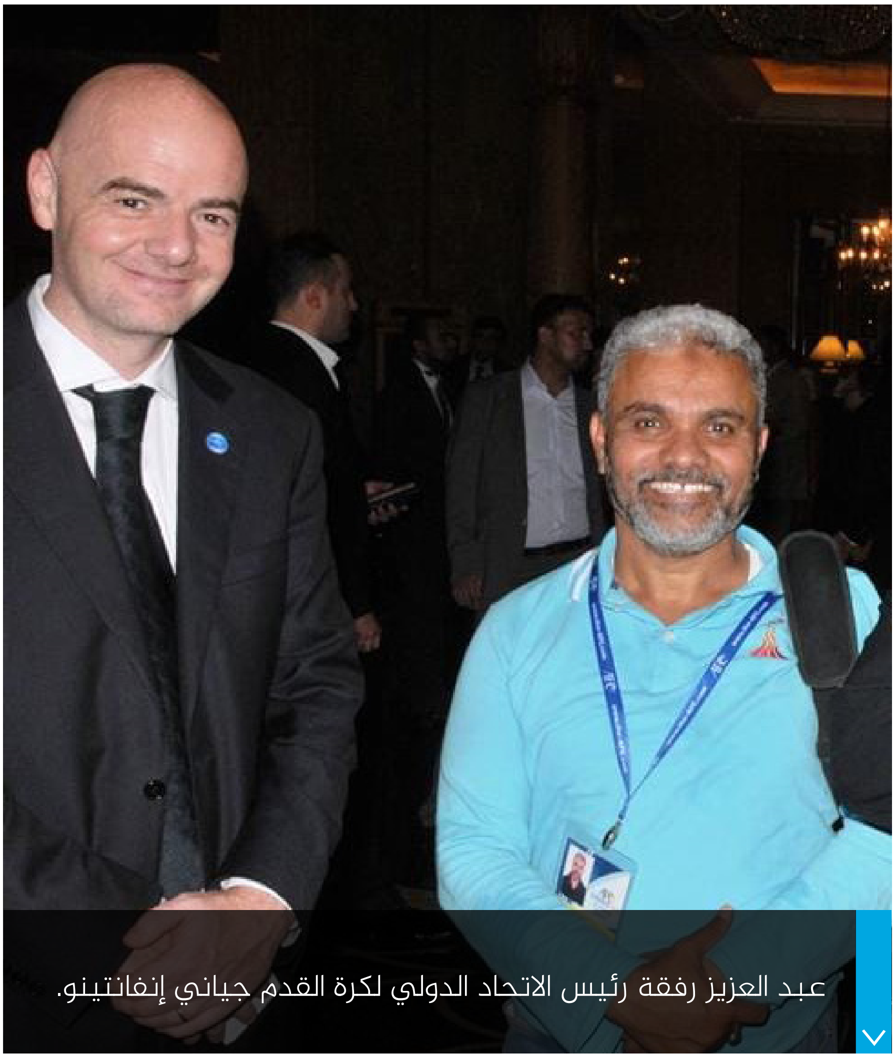

عبد العزيز رفقة رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جياني إنفانتينو.

اللقطات المثيرة للجدل تعد وجبة دسمة لعدسة المصور الرياضي، وهي أكثر ما تستهوي عدسة "زيزو"، ويؤكد بأن أحداث الشغب تصنف أفضل الصور في الرياضة. بمعنى أن صور الرياضة ليست جميعها مزهرة، وفيها أوجه أخرى، فإذا صادفت شغبا، أو تدخل فرق الأمن لإخماده، "فعبّد لعدستك طريقًا لاقتناصها، مع الحرص جيدًا على سلامتك".

تلك الدروس التي سردها المصور المحترف عبد العزيز عمر تمثل عصارة خبرة طويلة من خلال مسيرته المهنية في التصوير الرياضي، بالإضافة إلى إدراكه لأفضل الممارسات في تصوير الأحداث الرياضية العالمية.

لا بد للصحفي الرياضي أن يمتلك ثقافة متجذرة في الرياضة، ويكون على دراية كاملة بقواعد وقوانين اللعبة التي يصورها.

يعتبر زيزو المشاركة في بطولات رياضية كبيرة وعالمية، إنجازًا كبيرا في مسيرة المصور المهنية، وتمكنه من تبادل الخبرات والاستفادة من

المصور الرياضي ينبغي أن يكون ملما بكل تفاصيل المباريات وسياقاتها أيضا.

التجارب، وتشكل له محطات لتكوين علاقات وشبكة مصادر. فعند تصوير نشاط رياضي أو بطولة كروية في بيئات مختلفة، يؤكد زيزو ضرورة أن يُكوّن للمصور معرفة عامة عن البلد المستضيف، وما يمتاز به، ثقافيًا، سياحيًا، اجتماعيًا، جغرافيًا، وفي شتى الجوانب.

”يحضّر المصور كاميرته لتكون جاهزة للتصوير، منذ لحظة وصوله للبلد، فالأمر لا يقتصر على تغطية المباراة في الملعب فحسب، فهناك الكثير مما يمكن أن تتلقفه العدسة، كالفعاليات الفنية والثقافية المرافقة لهذه البطولة، وما يصاحبها من عروض شعبية وتراثية“.

يتذكر «زيزو» مونديال جنوب أفريقيا 2010، الذي أثرى عدسته بقضايا عديدة، كانت جاذبة للتصوير، كتغطية فلكلور ورقصات شعبية، وتصوير أماكن ومعالم تاريخية.

يتذكر زيزو بأن مونديال جنوب أفريقيا 2010، أثرى عدسته بقضايا عديدة، كانت جاذبة للتصوير، كتغطية فلكلور ورقصات شعبية، وتصوير أماكن ومعالم تاريخية، وإقبال الزوار عليها، إضافة لتوثيق مشجعي منتخبات قدموا أنفسهم بملابسهم التراثية. ففي نظر زيزو، فإن البطولات الرياضية الكبيرة كالمونديال، لا تمثل فعالية كروية فقط، وإنما كرنفالا يمتزج فيه الجانب الثقافي والفني للشعوب، وهي محل اهتمام الجمهور.

ندرة الفرص باليمن تطرح مشاكل تطوير أداءالمصورين الصحفيين الرياضيين (غيتي).

ويمكن للمصور الرياضي أن يرصد شغف واهتمام الشعوب بهذه البطولة، وينقل طقوس استعدادها لها أو كيفية متابعتها، وهكذا الزوايا التي يمكن تغطيتها في أي بلد. قبل كل مباراة، يشعر "زيزو" بالقلق، لأنه يفكر في سير المباراة واللقطات التي سيظل يبحث عنها وعن الزوايا التي يمكن أن تثير اهتمام القراء. ومثل هذا الشعور يعده زيزو -رغم أنه منهك-، دليل على حب المهنة وتقديرها.

"قبل كل مباراة، أقوم بالبحث عن الفريقين المتباريين بشكل عام، بما في ذلك زي كل فريق وبأي لون سيلعبان، وعن اللاعبين، بمعلومات تفصيلية، وأدون أرقامهم والمعلومات المهمة عنهم في مفكرة لا تفارقني"، وهذا يعينه كثيرًا في وضع تصور عام يحمله معه إلى الملعب.

إلى جانب الحرص على تحضير معدات ولوازم التصوير من الليلة السابقة للمباراة، لم يغفل زيزو عن التأكيد على وجوب تواجد المصور في الملعب قبل ساعتين من موعد المباراة، ليتعرف على الملعب وزواياه، ويلتقط صورا للاعبين وللمدربين وفريق الحكام، وتجنبًا للتأخير إذا ما صادف ازدحاما أمام بوابة التفتيش، ويشدد زيزو على أن "وصولك مبكرًا للملعب يشعرك براحة نفسية، على عكس إذا جئت والمباراة قائمة، ينعكس عليك سلبًا ويسبب لك الارتباك، ويشتت تفكيرك".

دخولك للملعب، يأتي وفق ضوابط وإرشادات، يضعها المركز الإعلامي للبطولة، ويزودك بسترة تميزك كمصور، وبطاقتك التعريفية، التي يدون خلفها الأماكن المسموح للمصوري التواجد بها في الملعب.

غطى «زيزو» كؤوس العالم سنوات 1998، 2002، 2010، و2014
(غيتي).

الصحافة البيئية.. يجب أن تشرح للناس كيف ستغرق الإسكندرية

خالد سليمان

لم تعد الصحافة البيئية ترفا أو من «الرفاهيات» كما كانت في الماضي، لأن المواطن العربي أصبح يعيش بشكل يومي آثار التغيرات المناخية على حياته. يواجه الصحفي البيئي تحدي إخراج الأرقام من المختبرات وتبسيط معناها للجمهور.

لم تعد الصحافة البيئية أسيرة هوامش أخبار السياسة والاقتصاد والأمن في الصحافة العربية، بل تصب في قلب اهتمام الأفراد والمجتمعات اليوم (غيتي).

خلال عملي كصحفي بيئي في الصحافة المكتوبة، لاحظت نقطة مهمة عند القارئ، وهي تفضيل الحكاية على العلوم المجرّدة حول البيئة والمناخ. لاقت قصص كتبتها عن أشخاص في مناطق العراق المختلفة، تأثرت أنماط حياتهم بآثار تغير المناخ أو التدهور البيئي الناجم عن النشاط البشري المباشر، اهتماماً كبيراً من قبل الجمهور، بينما لم تستقطب المقالات العلمية سوى اهتمام جزء قليل من الجمهور ذاته، رغم أنها تتضمن معلومات وتصورات مستقبلية للحياة على الأرض.

لا يعني ذلك بطبيعة الحال وضع التقارير والبحوث العلمية حول المناخ والأنظمة البيئية جانباً، والتركيز فقط على القصص والحكايات؛ لأن العلوم تساعد على اكتساب قاعدة علمية حول آليات عمل الأنظمة البيئية والمعارف المتعلقة بها، ناهيك عن امتلاك القدرة العلمية على تحويل المادة المعلوماتية والبيانات إلى حكايات وموضوعات صحفية يفهمها الجمهور العام. ويتطلب ذلك بالدرجة الأولى مهارات صحفية لدمج المادة العلمية بفنون السرد الصحفية. ونفهم من خلال هذه العلاقة الوثيقة بين العلوم التي توفر للصحفي فرصاً نادرة للحصول على البيانات والإصدارات والاكتشافات العلمية الجديدة بخصوص الأنظمة البيئية، وبين الواقع المُعاش، بأن الصحافة البيئية تمزج بين ما هو علمي مُجرّد وبين ما هو سردي أدبي.

بشكل عام لا يميل الجمهور العريض للحديث عن التحليلات العلمية للأحداث المناخية، ولكنه مهتم بالآثار الناتجة عنها، لأنها مرتبطة بأنماط حياته واستقراره ومصادر غذائه، مما يتطلب القدرة والمرونة المعرفية في التعامل مع تنوع الموضوعات المتعلقة بالبيئة عبر فهم آليات حصول التغير. قد نكتب اليوم موضوعاً عن الجفاف والتصحر جراء تغير المناخ، بينما نكتب غداً تحقيقاً آخر حول الفيضانات أو انقراض نوع من أنواع الكائنات جراء التغير ذاته. يعد امتلاك لغة صحفية سلسة والقدرة على تحويل الأرقام والتحليلات العلمية إلى قصص وتقارير يفهمها الجمهور، مفتاحاً جوهرياً في العمل على القضايا البيئية.

> خلال عملي كصحفي بيئي في الصحافة المكتوبة، لاحظت نقطة مهمة عند القارئ، وهي تفضيل الحكاية على العلوم المجرّدة حول البيئة.

إيصال الرسالة، كيف؟

يسأل الصحفي نفسه دائماً عن الشكل الذي يختاره لكتابة أو إنتاج القصة الصحفية: مكتوبة، مُصَورة، إذاعية أو موجهة لوسائل التواصل الاجتماعي؟ وقبل أن يبدأ بالسؤال عن آلية النشر في وسيلته الإعلامية وسبل المشاركة على شبكات التواصل الاجتماعي، يفكر بالطرق الصحفية الإبداعية التي تساعد على كيفية توثيق جوانب القصة والسرد والبناء واختيار الشخصيات وتحديد زاوية المعالجة.

ما يهم في هذا السياق هو إخراج المواضيع المتعلقة بالبيئة والتغير المناخي من دائرة اهتمام العلماء والناشطين إلى السجالات الاجتماعية عبر أنسنة المُجرّدات وربطها بمصالح المجتمع المتمثلة في الصحة العامة ومصادر العيش والعدالة المناخية. وقد لا تستجيب المجتمعات للتقارير والتحقيقات المتعلقة بالنظم البيئية، ولكن حين يتم إعلامها بأن تخريب الأنظمة البيئية والاقتراب من مصير الحيوانات البرّية والأحياء الدقيقة يؤديان إلى انتشار الأمراض المعدية الناشئة، فإنها تندفع للاستجابة والفضول. هذا ما حصل تحديداً أثناء تفشي جائحة كوفيد-19 حيث أدى إلى ظهور مبادرات صحية جديدة بخصوص أسواق الحيوانات في المدن.

وفي السياق ذاته، يعد قبول فكرة إعادة تدوير المياه الثقيلة أو الآسنة أمراً صعباً في البلدان العربية، لأسباب ثقافية واجتماعية ودينية سائدة تتعلق بالنظافة، ولكن من شأن تغطية تجارب ناجحة في تدوير المياه المستخدمة وإعادة استخدامها لأغراض الري والصناعة وتغذية المياه الجوفية، دفع المجتمعات ليس

المعارف العلمية، بما فيها المعارف والخبرات الصحفية، حول التأثير الإقليمي للتغيرات المناخية أو الاحترار العالمي في البلدان العربية؛ ما زالت «فقيرة» (غيتي).

لقبول الفكرة فحسب، بل تبنيها والعمل من أجلها.

> **بشكل عام لا يميل الجمهور العريض للحديث عن التحليلات العلمية للأحداث المناخية، ولكنه مهتم بالآثار الناتجة عنها.**

الوجه الأبرز في هذا السياق هو تشخيص زوايا محلية للأضرار الناجمة عن تغير المناخ أو التدهور البيئي، عبر التركيز على الآثار الملموسة والجارية في حياة السكان المحليين وكذلك الآثار المستقبلية. نورد هنا، على سبيل المثال، آثار ارتفاع درجات الحرارة في حوض البحر الأبيض المتوسط وانخفاض مستوى الرطوبة وحرائق الغابات على الزراعة وإنتاج الغذاء.

وقد لا تثير كتابة أو إنتاج قصة صحفية حول ذوبان الأنهار الجليدية في القطبين، اهتمام الجمهور العربي، ولكن حين نربط ذلك بارتفاع مستوى سطح البحر واحتمال غرق مدن عربية تاريخية مثل الإسكندرية في مصر والبصرة في العراق

أو مدن في الساحل اللبناني، فإننا نقترب من دائرة اهتمام الجمهور العام. بناءً على مثل هذه المقاربة العلمية السردية تشارك الصحافة البيئية في تمكين المجتمعات من الاستجابة للأحداث المناخية وهو ما أطلق عليه القصة الكاملة.

الصحافة والصراع البيئي

تظهر المشكلات البيئية كقضية محلية وملموسة مثل فقدان التنوع الأحيائي، تلوث الهواء.. إلخ، بينما الآثار الناجمة عن تغير المناخ، عالمية وغير ملموسة وتختلف بحسب اختلاف المناطق. يعني ذلك أن أقاليم معينة تعاني من المخاطر المرتبطة بتغير المناخ بينما لم تتأثر أقاليم أخرى بالمتغيرات بنفس الدرجة. تالياً، يرتبط الوعي بالأشياء من خلال المعرفة بالأبعاد المختلفة والمتنوعة لمسألتي البيئة والمناخ، الأمر الذي يقتضي تأسيس صحافة قادرة على تغطية "القصة الكاملة"، لأن النظام البيئي الخلّاق في تنوعه مرتبط بنظام شامل للحياة على الأرض، بدءاً من مصادر غذائنا وصولاً إلى الهواء الذي يغذي رئاتنا.

إن المعارف العلمية، بما فيها المعارف والخبرات الصحفية، حول التأثير الإقليمي للتغيرات المناخية أو الاحترار العالمي في البلدان العربية؛ ما زالت "فقيرة" نوعاً ما، ولا ترتقي إلى مستوى التحديات والأخطار البيئية الموجودة. كما أن الاختلافات في مستويات التغير المناخي وحجم التأثر به بين منطقة وأخرى في العالم، وكذلك بين الأفراد والمجتمعات والبلدان والأقاليم، وأنماط العيش من حيث الاستهلاك والصراع على الموارد، أدت إلى الوقوع في أخطاء اقتصادية، ثقافية، علمية واجتماعية كثيرة. ولو أراد باحث معرفة أسباب الصراعات في دارفور قبل وأثناء تحول النزاعات إلى القتال المسلح بين المجموعات المتصارعة، فلن يجد الكثير عما يسمى بالصراع البيئي.

> **يعد امتلاك لغة صحفية سلسة والقدرة على تحويل الأرقام والتحليلات العلمية إلى قصص وتقارير يفهمها الجمهور، مفتاحاً جوهرياً في العمل على القضايا البيئية.**

وكانت الصحافة إلى وقت قريب مساهمة في المشهد الضبابي فيما يخص البيئة وإيصال المعلومات ليس في العالم العربي فحسب، بل حتى على المستوى العالمي أيضاً. لقد تم إخفاء ملفات كثيرة حول التغير المناخي وآثاره السيئة على البشرية والطبيعة معاً. ونتذكر هنا تقارير علمية أخفتها الحكومة الأمريكية عن الرأي العام عام 1979، بينما لم يتطرق إليها الإعلام إلا في عام 2019، بالإضافة إلى عدم استجابة صناع القرار في قطاع الإعلام العالمي والمحلي للتقارير التي كانت تسلط الضوء على الاحترار العالمي جراء حرق الوقود الأحفوري والأضرار التي يلحقها بالاقتصاد واستقرار المجتمعات والدول. ولكن نعود ونسأل: كيف يقوم الصحفي بذلك؟

في سياق التطور الهائل الذي تشهده الصحافة من جهة الذكاء الاصطناعي وسرعة نشر المعلومة عبر التكنولوجيا وسهولة الاتصال بالنظام البيئي للمعلومات، لم تعد الأساليب السائدة في كتابة القصص وإنتاجها مجدية، نظرا للتغيرات التي حصلت في الأدوار في الإرسال والتلقي. لقد أصبح المتلقي مرسلاً للمعلومات في نظام بيئي جديد للمعلومات تلعب فيه أجهزة الهواتف الحديثة دوراً هائلاً في تسهيل عمليات الاتصال. وقد توفر صحافة الذكاء الاصطناعي بيانات كثيرة للصحفي حول الأحداث المناخية، إنما يبقى دور المحرر في غرف الأخبار ووجود الصحفي على الأرض محورياً، وقد تساعد وسائل الاتصال السريعة وشبكات التواصل الاجتماعي على النقل المباشر للمعلومات وقاعدة البيانات، إنما في غياب صحفي مهني على الأرض لنقل حساسية الأحداث والتحقق من زواياها المتعددة، ليس من المستبعد أن تكون المعلومات مضللة أو كاذبة.

والناجز أن دور الصحفي يبقى على الأرض كما في غرف التحرير، جوهرياً في التغطية

الصحفية للقضايا المتعلقة بالبيئة والتغير المناخي لكن بوسائل وأشكال صحفية جديدة، تعد معرفة الصحفي بالقضايا العلمية والتاريخية نواتها الأولى.

ما يهم هو إخراج المواضيع المتعلقة بالبيئة والتغير المناخي من دائرة اهتمام العلماء والناشطين إلى السجالات الاجتماعية عبر أنسنة المُجرّدات وربطها بمصالح المجتمع.

مثلما هناك أحداث يومية ناتجة عن تغير المناخ، هناك أفكار يومية كثيرة عن النظم البيئية وفقدانها أنواع الحيوانات والنباتات، اشتعال الحرائق، الفيضانات، النشاطات البشرية وغيرها من المواضيع، بيد أن لمعرفة الصحفي بالقضايا العلمية والتاريخية حول المناخ دوراً مهماً في الكشف عن زوايا بيئية قد لا يدرسها حتى علماء البيئة. نشرت صحيفة نيويورك تايمز نهاية عام 2018 تحقيقاً صحفياً مهماً بعنوان "كلما صار البحر دافئاً، تواجه جزر غالاباغوس اختبار تطور هائل". وتعتمد فكرة هذا التحقيق على حدث آخر يعود تاريخه إلى عام 1835 وهو كتاب أصل الأنواع لعالم الأحياء البريطاني تشارلز داروين الذي وثق فيه جانباً من التنوع الأحيائي في جزر غالاباغوس الموزعة على جانبي خط الاستواء في المحيط الهادئ، شرق جمهورية الإكوادور. ويكشف تحقيق نيويورك تايمز عن تغيرات جذرية حصلت في تلك الجزر بسبب تغير المناخ حيث اختفت حيوانات درسها تشارلز داروين في كتابه بسبب قلة الغذاء، وتحولت حيوانات أخرى، كانت فيما مضى عاشبة إلى حيوانات لاحمة الآن بسبب قلة الغذاء. إن الجانب الإبداعي في هذا الموضوع البيئي هو المقارنة بين أنماط حياة الحيوانات والتحول الذي حصل خلال ما يقارب قرنين من الزمن. ويوفر مثل هذا التحقيق الصحفي مادة علمية غنية ليس للجمهور العام، بل حتى لعلماء الأحياء.

كانت الصحافة إلى وقت قريب مساهمة في المشهد الضبابي فيما يخص البيئة وإيصال المعلومات ليس في العالم العربي فحسب، بل حتى على المستوى العالمي أيضاً (تصوير: فيل نوبل - رويترز).

أيها الزملاء.. إيّاكم والتورّط في صناعة الخبر

إيليا توبر

تعد التغطية الإعلامية جزءا أساسيا في أي تحرك مدني، سواء كان على شكل مظاهرات أو حملات توعية أو مظاهر ثقافية. إذ إنها تجعل التحرك مرئيا لجمهور واسع ومن ثم فهي تثير الاهتمام وتشجع الناس على المشاركة. بيد أنّ التعجل في تغطية تحرك لا يزال في مهده يمكن أن يؤدي بالتغطية الإعلامية إلى أن تصبح هي المحرك الأساسي له، بل وحتى الطرف المسؤول عن صناعته.

إن كنت صحفيا فلا ريب في أنك ترغب في إحراز قصب السبق بالوجود في قلب الحدث. وكونك أول من ينقل الخبر العاجل ليس مجرّد شرف من شأنه أن يكسبك احترام زملاء المهنة، بل يعني أيضا للصحفيين المستقلين فرصًا أكبر في العمل. أمّا لو تأخرت في تغطية موضوع حتى يكتب عنه الجميع، فإن صحيفتك ستسارع إلى نشر مادة عنه بالاعتماد على الأخبار المتداولة، وهذا ما يجعل التعجل في تغطية حدث ما بمجرد معرفتك بشأنه هو رد الفعل الطبيعي.

من أجل ذلك كنت بالطبع متحمسا عندما أخبرتني لارا فيلالون، وهي صحفية إسبانية تغطي الأحداث في تركيا، في مطلع أيلول/سبتمبر عن قناة على تطبيق تلغرام يتزايد متابعوها من اللاجئين السوريين في تركيا بشكل مطرد. مديرو القناة الذين ظلت بياناتهم الشخصية مخفية، اقترحوا تنظيم مسيرة تحت اسم "قافلة النور"، تتجه نحو الحدود اليونانية بهدف دخول الاتحاد الأوروبي، وقد طمأن المنظمون المتابعين بأنه، إن شارك في المسيرة السلمية عدد كاف ورافقتهم وسائل إعلام ومنظمات غير حكومية وممثلون من الأمم المتحدة؛ فإن السلطات اليونانية ستشعر أنها مجبرة على فتح الحدود والسماح للمشاركين في المسيرة بالمرور.

هل علينا أن نغطي تحركا لا يزال مقصورا على رسائل في قناة تيلغرام، أم إن علينا الانتظار حتى يصبح حقيقة واقعة على الأرض؟ (تصوير: نيكولاس إيكونومو - غيتي).

«يقول النص الذي كتبه صحفي مستقل كان على الأغلب يجلس في أحد المكاتب في لندن، ولا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال بالقرب من الحدود التركية: «مع بزوغ فجر الاثنين، شرع أعضاء القافلة برحلتهم نحو نقطة التجمع المتفق عليها في أدرنة.»

كان ذلك تقديرا محفوفا بالمخاطر، وتذكرنا أنا ولارا عندما تدفق اللاجئين الذي غطيناه معا في شهري شباط/فبراير وآذار/مارس من عام 2020. في تلك الفترة تدفق عشرات الآلاف من اللاجئين السوريين، ومعهم لاجئون أفغان وصوماليون وباكستانيون وأرتيريون إلى الحدود اليونانية، تلبية لدعوات على مواقع التواصل الاجتماعي، كانت قد أخبرتهم أن اليونان فتحت حدودها. إلا أن ذلك كان في جزء منه مجرد سوء فهم، إذ إن الحكومة التركية هي التي كانت قد قالت إنها فتحت حدودها، وذلك لا يعني أن اليونان كانت ستفعل الأمر نفسه. ولكن كان الموضوع في جزء منه أيضا مدفوعا من قبل أصوات لمجهولين كانوا ينشرون الإشاعات الكاذبة عن أن الاتحاد الأوروبي كان مستعدا للموافقة على فتح الحدود. أما النتيجة فقد كانت كارثة إنسانية حقيقية، إذ أقام عشرات الآلاف من المهاجرين في خيام امتدت

على طول نهر إيفروس لأيام بأكملها وأنفقوا ما تبقى من أموالهم على محاولات عقيمة للعبور، وفي معظم الحالات احتال عليهم مهربون بلا ضمير، فوعدوهم بمرور آمن ثم تركوهم في الغابات التي تحف النهر أو على جزيرة ما، حتى إن كثيرا من السوريين الذين كانوا يجدون لقمة عيش متواضعة، إلا أنها ثابتة في تركيا، باعوا كافة ممتلكاتهم من أجل الوصول إلى الحدود التي وجدوها مغلقة في وجوههم.

فهل سيأتي تكرار مثل هذا الحراك بنتائج مختلفة، لو تم تنظيمه وتغطيته إعلاميًا بشكل أفضل؟

في عام 2020 لم يكن ثمة ضعف في التغطية الإعلامية، بل إن معاناة المهاجرين كانت تبث مباشرة على جميع القنوات التلفزيونية الأوروبية، ولكن بروكسل لم تحرك ساكنا.

بالطبع لو حدثت موجة هجرة جديدة فلا بد أن نغطيها، ولكن هل كانت هنالك موجة هجرة جديدة بالفعل؟ وهل ستكون قناة التيلغرام التي ازداد عدد متابعيها الآن إلى 80,000 موثوقة؟ ورغم عدم تحديد تاريخ معين، فإن الانطلاق بدا وشيكا، وقد يعذر المتابع إن غفل وظن أن القافلة انطلقت بالفعل، حيث إن مديري القناة بدأوا بنشر بعض التغطيات الإعلامية عن الحملة المنشورة من قبل شبكات اجتماعية غالبا ما تستهدف المهاجرين الناطقين بالعربية في ألمانيا.

في "سكرين شوت" من مجموعة مزعومة على فيسبوك تدعى "ألمانيا تيمز"، من المحال العثور عليها على المنصّة، يظهر فيها طابور طويل من الناس يمشون عبر الحقول من دون الإشارة إلى أن الصورة التقطت خلال

«من السهل تصور أن الكثير من المهاجرين سيفهمون أنه كان هناك عدد هائل من الناس على الحدود، وهذا ما فهمه صحفي مكسيكي أخذ يوبخ على حسابه على تويتر الصحافة الأوروبية لعدم تغطيتها نجاحا اعتقد أنه كان حقيقيا» (تصوير: ألتيس كوستانتينيدس - رويترز).

أزمة المهاجرين عام 2015، في إحدى مناطق البلقان. بعد ذلك بدأ موقع "أورينت" السوري الذي يعمل من دبي بتغطية القضية مستخدما الكثير من الصور التي تعود لعام 2015 من دون أن يوضح أنها صور أرشيفية، ولن يكون الأمر واضحا على الأقل بالنسبة لأولئك الذين رأوا لقطة الشاشة المنشورة على قناة التيلغرام.

وعندما نشرت وكالة الأنباء الفرنسية عن القصة وذكرت فيها أنه لم يحدد تاريخ معين، ظهرت في قناة التيلغرام "سكرين شوت" تظهر الخبر، ثم في العشرين من أيلول/سبتمبر جاء دور صحيفة الغارديان المرموقة لتنشر تقريرا بعنوان "مهاجرون سوريون يحتشدون في قافلة على الحدود التركية بهدف العبور إلى اليونان"، ورغم أن الشرح أدنى الصورة أشار إلى أنها التقطت في آذار/مارس عام 2020، أشارت القصة بمجملها، وعلى نحو قاطع، إلى أن قافلة قد تجمعت بالفعل على الحدود.

بعد نشر قصة الغارديان، تجول صحفي تركي في أدرنة أخيرا واستطاع التحدث إلى بعض السوريين الذين قدموا لانتظار «وصول القافلة» التي لم تتشكل أساسا.

يقول النص الذي كتبه صحفي مستقل كان على الأغلب يجلس في أحد المكاتب في لندن، ولا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال بالقرب من الحدود التركية: "مع بزوغ فجر

الاثنين، شرع أعضاء القافلة برحلتهم نحو نقطة التجمع المتفق عليها في أدرنة".

وصلت تلك "اللقطة" "السكرين شوت" سريعا إلى قناة التيلغرام وأيقظت آمالا جديدة، إذ إن مسيرة تغطيها الصحافة البريطانية لا بد أن تكون مسيرة ناجحة بالفعل، أو هكذا اعتقد كثيرون، وهو الاعتقاد السائد كما تصورنا، إذ لا تزال ردود فعل 80,000 متابع غير معروفة وذلك لأن القناة تمنع نشر أي منشورات إلا من قبل مديريها. بعد نشر قصة الغارديان، تجول صحفي تركي في أدرنة أخيرا واستطاع التحدث إلى بعض السوريين الذين قدموا لانتظار "وصول القافلة" التي لم تتشكل أساسا. كان هنالك في المدينة بالطبع عشرات المهاجرين الذين يبحثون عن طريقة للعبور، ولكن الكثير منهم كانوا أفغانا أو أفارقة ولا يمتون بأي صلة لمجموعة التيلغرام الناطقة بالعربية، موضوع هذا المقال.

لكن أخيرا تشكلت مجموعة فرعية صغيرة من أجل تنظيم من كانوا سينطلقون بالفعل باتجاه أدرنة، وتبعهم بعد فترة قصيرة 13,000 شخص كانوا قد اتفقوا على نقطة التقاء في قرية في إقليم أدرنة في الخامس والعشرين من أيلول/سبتمبر. وفي اليوم التالي لم يجد مجموعة من السوريين الواصلين إلا "بضعة أشخاص لم يكن يقودهم أحد، وكانوا يفتقرون إلى التنظيم"، فقرروا أن يعودوا إلى إسطنبول، وسادت حالة من الارتباك، وبعد أيام قليلة ألغيت القافلة رسميا، على الأقل في حينها. أما المعضلة التي كانت تواجهنا جميعا فكانت كالتالي: هل علينا أن نغطي تحركا لا يزال مقصورا على رسائل في قناة تيلغرام، أم إن علينا الانتظار حتى يصبح حقيقة واقعة على الأرض؟ وفقا لملاحظة لارا فيلالون، كان من الواضح أن التغطية الصحفية استخدمت لتكون عاملا يسهم في التأكيد على جدية التحرك، "وأنه لم يكن مجرد نقاش على تلغرام، بل كانت القافلة حقيقية" وأن الأمور كانت تجري وفقا لما خطط له، وذلك ما شجع الأعضاء على الالتحاق بها.

"في حالة قافلة النور «لم يكن من الواضح من يقف خلف تنظيمها، كما أنها قد تكون مجموعة حقيقية من المهاجرين، أو قد تكون أيضا منظمة ذات أهداف سياسية ربما تسعى إلى إضعاف حزب سياسي معين أو استقطاب المجتمع التركي."

تقول فيلالون: "لم تكن هنالك أي تفاصيل لوجستية، وإنما كانوا يتحدثون بدلا من ذلك عن أنهم ظهروا في الصحف الألمانية، حتى من دون أن يعرضوا تلك الأخبار، كما كان هنالك إصرار على دفع الناس إلى التحرك والاتجاه إلى الحدود".

رغم صعوبة تقدير التأثير الحقيقي لـ "السكرين شوت" المأخوذة عن تغطيات صحفية والمنشورة في مجموعة التيلغرام، كان من السهل تصور أن الكثير من المهاجرين سيفهمون أنه كان هناك بالفعل عدد هائل من الناس الذين تجمعوا على الحدود، وهذا ما فهمه صحفي مكسيكي أخذ يوبخ على حسابه في موقع تويتر الصحافة الأوروبية لعدم تغطيتها نجاحا اعتقد أنه كان حقيقيا.

على كل حال، كان علينا أن نفترض أننا من خلال نشر قصة يمكن أن نشجع المديرين والمتابعين في المجموعة على مواصلة جهودهم للمسير إلى الحدود. وبالطبع كانت كل قصة ستمارس تأثير الدومينو على باقي وسائل الإعلام، إذ إنه كلما ازداد الزخم حول قصة ما على وسائل الإعلام، ازداد حجم الضغط على باقي المراسلين للحصول على الأخبار نفسها حتى وإن كانوا يشعرون بأنه ما من قصة تروى.

كل قصة تمارس تأثير الدومينو على باقي وسائل الإعلام، فكلما ازداد الزخم حول قصة ما على وسائل الإعلام، ازداد حجم الضغط على باقي المراسلين للحصول على الأخبار نفسها (تصوير: ساهر الحقي - الأناضول).

ا السياق فإن "نقل خبر عاجل" لا ينحصر دائما في كونك أول من يكتشف حقيقة ذات قيمة إخبارية، بل في بعض الأحيان يتعلق الأمر بأنك أول من يقرر نشر حقيقة وما إذا كانت تحمل قيمة إخبارية، لتشق الطريق أمام باقي وسائل الإعلام التي لن يكون لها أي خيار سوى أن تحذو حذوك.

لم ترق تغطية وكالة الأنباء الفرنسية ومن بعدها الغارديان إلى مدى انتشار كاف لجعلهما يفرضان ضغطا على المراسلين في تركيا، أو أن الأمر بدا كذلك، حيث لم ينشر القصة أحد آخر رغم أن عشرات الصحفيين كانوا يعلمون بها وسألوا زملاءهم عن تفاصيلها. ولو أننا جميعا قررنا أن ننشر الخبر وأصبحت مجموعة التيلغرام ممتلئة بلقطات الشاشة، لربما قرر عدد أكبر من الأشخاص الانضمام إلى الحافلة المتوجهة إلى أدرنة والالتحاق بالقافلة، ولتشكلت قافلة حقيقية عندها. لا يمكننا الجزم بذلك، ولكن لو أن ذلك حدث سنكون نحن الصحفيين مسؤولين جزئيا عن كل ما سيحدث بعدها أيا كان، وقد نشعر بالفخر لو فتحت اليونان حدودها فعلا، أو بالأسى العميق إن انتهت المسيرة بكارثة مثل تلك التي حصلت عام 2020 عندما فقد الآلاف جميع مدخراتهم.

ولكن بغض النظر عن النتائج، هل على الصحفيين المساهمة في صنع الخبر الذي يغطونه؟ من حيث المبدأ، يجب أن نقول لا، لأنه حتى لو بدت القضية نبيلة أو إنسانية، لا يمكننا دائما أن نعرف مسبقا ما الذي نساهم فيه بالضبط، ففي حالة قافلة النور "لم يكن من الواضح من يقف خلف تنظيمها، كما أنها قد تكون مجموعة حقيقية من المهاجرين، أو قد تكون أيضا منظمة ذات أهداف سياسية ربما تسعى إلى إضعاف حزب سياسي معين أو استقطاب المجتمع (التركي) من خلال جره إلى نقاشات معينة" كما تبين فيلالون.

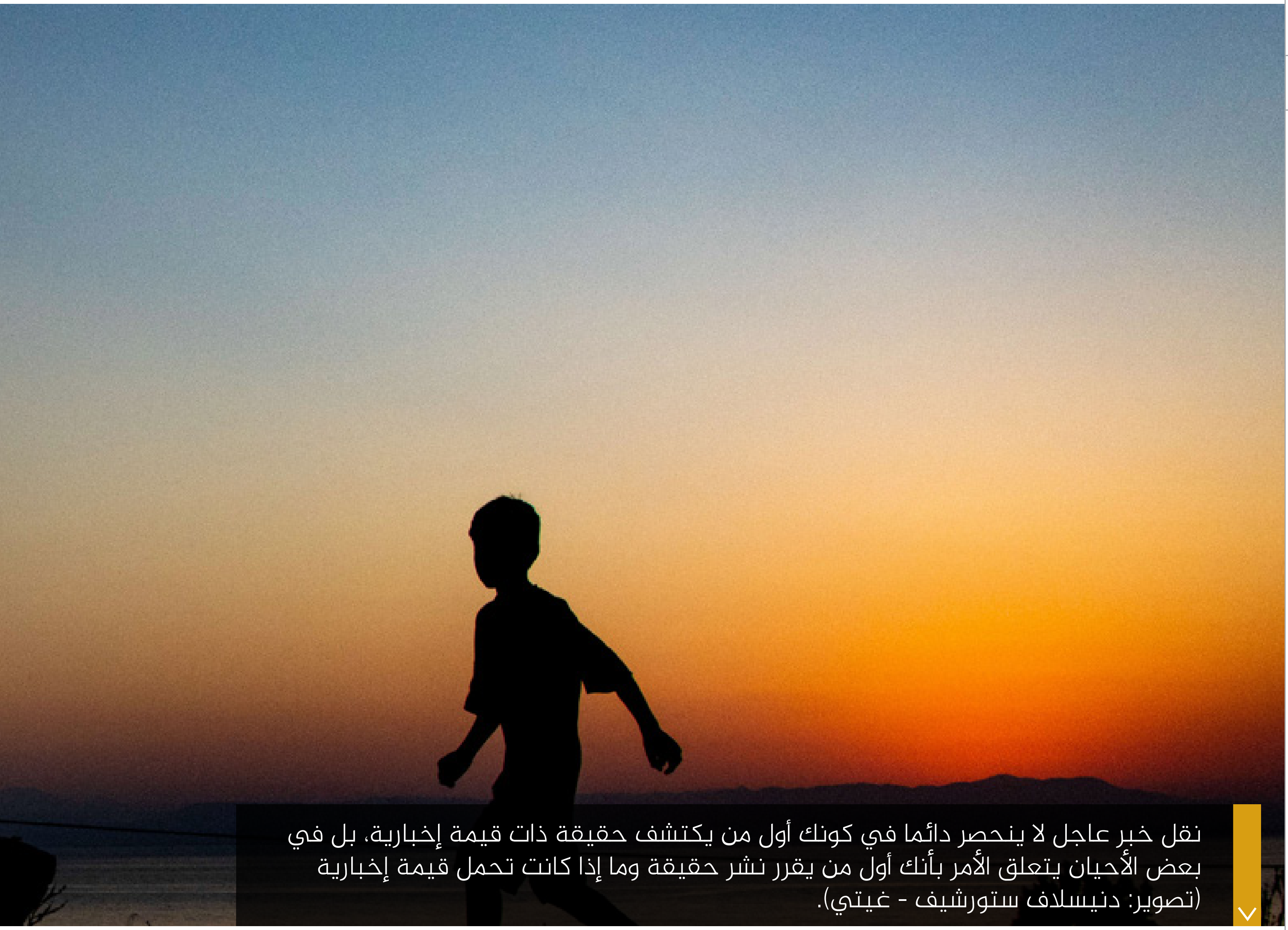

نقل خبر عاجل لا ينحصر دائما في كونك أول من يكتشف حقيقة ذات قيمة إخبارية، بل في بعض الأحيان يتعلق الأمر بأنك أول من يقرر نشر حقيقة وما إذا كانت تحمل قيمة إخبارية
(تصوير: دنيسلاف ستورشيف - غيتي).

في المقابل، فإن اتخاذ قرار بالتزام الصمت أمر صعب أيضًا كما يقول دانيال إريارتي، الذي عمل مراسلا صحفيا لفترة طويلة في جنوب شرق آسيا وتركيا ويقدم الآن دورات في تدريس الصحافة. يشير إريارتي إلى حالات تطلق فيها مجموعات متشددة من أقصى اليمين فعاليات قصيرة وعامة مصممة لإثارة المشاعر ضد المهاجرين. في هذه الحالات، إن لم يلحظ أحد الأمر، فإنه سيمر بسلام، أما "بالنسبة للصحفي، فسيكون من الصعب عدم تغطية الحدث" كما يقر إريارتي، وذلك لأن التحرك حقيقي وموجود على الأرض. إلا أن تغطية الفعالية التي ستنتشر في جميع وسائل الإعلام هي التي ستتيح الفرصة للاستقطاب لكي يكسب قاعدة صلبة ويجذب المتطرفين من جميع الأطراف، الذين سينخرطون "في مواجهة ثقافية أو دينية حقيقية، كان من الممكن أن لا تكون سوى مقلب أعد بسوء نية" كما يقول.

يضيف إريارتي "بوصفك صحفيا، عليك أن تفترض أن الجميع سيستخدمونك أداة لتحقيق أهدافهم، فالمصدر الذي يسرب إليك معلومات سرية يمكن أن تكون لديه مآربه الخاصة، كما أن مقالتك بمجرد نشرها سينشرها من بعدك سياسيون لتحقيق أهدافهم الخاصة، ولكن لا يمكنك إخفاء الحقائق من أجل أخذ كل هذه الاعتبارات بالحسبان. اسأل نفسك فقط: هل الحقيقة مهمة بالقدر الكافي"؟

يدرك المختصون بفيزياء الذرة أنه لا يمكنك مراقبة جزيء من دون التأثير فيه، والأمر نفسه ينطبق على الصحافة، ولكن عندما تصبح تغطيتنا جزءا أساسيا من الأحداث التي ستجري، علينا عندها أن نفكر كثيرا قبل أن ننشر الخبر. نقل الخبر العاجل أمر عظيم، لكن دون التورّط في صناعة الخبر من أجل نقله.

الصحافة في شمال أفريقيا.. قراءة في التحولات

أحمد نظيف

يقدم كتاب «فضاءات الإمكانيات: الإعلام في شمال أفريقيا منذ التسعينيات»، قراءة عميقة في التحولات التي عرفتها الصحافة في أربعة بلدان هي مصر، الجزائر، تونس والمغرب. وبتوظيف مناهج العلوم الاجتماعية، يستقرئ الباحثون أهم التغيرات التي طرأت على الإعلام وتقييم دور الأنظمة السياسية وباقي الفاعلين الآخرين.

منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي، بدأت الشروط التاريخية التي نشأت فيها وسائل الإعلام في الشطر الأفريقي من العالم العربي في التفكك، حيث لم تعد الدولة أو النظم السياسية تحتكر هذه الوسائل تحت وطأة التطور التكنولوجي. وتالياً لم يعد الإعلام جهازاً أيديولوجياً فعالاً للنظام السياسي.

هذا التحول الجذري في أدوار الإعلام، سينسحب لاحقاً على طبيعته وطبيعة الفاعلين فيه، وصولاً إلى الثورات التي مست جزءاً من شمال أفريقيا، وعمقت التحول الإعلامي على نحو غير مسبوق.

يسعى كتاب "فضاءات الإمكانيات: الإعلام في شمال أفريقيا منذ التسعينيات" (1) (بالفرنسية)، الذي حرره كل من بشير بن عزيز وعبد الفتاح بنشنة ودومينيك مارشيتي، وصدر عن المعهد الفرنسي للأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية بالمغرب (مركز جاك بيرك)، إلى تحليل هذه التحولات التي جرت في فضاءات الإعلام الوطنية في الجزائر ومصر والمغرب وتونس، استناداً إلى مناهج العلوم الاجتماعية، من خلال ثماني دراسات ومقدمة منهجية عامة.

في المنهج

ينطلق محررو الكتاب منذ المقدمة في طرح الإشكاليات المنهجية لتحليل مسار التحولات الإعلامية في شمال أفريقيا، من خلال الإقرار بأن دراسة الصحافة والإعلام تحتل مكانًا صغيرًا جدًا في البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، على الرغم من أن المساحات الإعلامية في هذه المنطقة قد شهدت تحولات منذ التسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين. ولعل أبرز هذه التحولات هو ظهور "جهات فاعلة" جديدة بخلاف الدولة والأحزاب السياسية المرخص لها، تستثمر اليوم في هذا القطاع: رجال الأعمال، الصحفيون، المراسلون، المتخصصون في التسويق، والمجتمع المدني. وكذلك ظهور أنماط جديدة للإنتاج الصحفي وتنويع العرض الإعلامي وتوسيع نطاق الجمهور المستهدف، الذي كان يقتصر سابقًا على قراء الصحافة الحزبية والرسمية أو مشاهدي التلفزيون الحكومي. يقدم المؤلفون القادمون من تخصصات مختلفة (علوم الإعلام والاتصال، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع) تحاليل قائمة أساساً على

استطلاعات ميدانية حول وسائل الإعلام في الجزائر ومصر والمغرب وتونس، في قطع مع ظاهرة "البحث العلمي الجالس"، حيث دأبت الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالإعلام على اعتماد مصادر بحث تدور حول الشبكات الاجتماعية والصحافة، والمسوحات القصيرة المدى. لكن هذه الأفضلية في إنتاج معرفة مصدرها الميدان واجهت العديد من العوائق، حيث يشير محررو الكتاب إلى القيود التي اعترضت بعض الباحثين في عملهم، لا سيما في الجزائر ومصر، حيث لم يعد التضييق يستهدف الصحفيين فحسب، بل يستهدف أيضًا الأكاديميين والباحثين. كما أن رفض المقابلات التي عانى منها مؤلفو العمل، والبيروقراطية الإدارية في بعض الأحيان، وكذلك استحالة الحصول على بيانات إحصائية أساسية حتى في حالة وجودها، تكشف عن أمثلة على هذه العقبات. يضاف إلى ذلك هشاشة مؤسسات التدريس والبحث في شمال أفريقيا وضعف استقلاليتها العلمية، رغم وجود كوادر أكاديمية جيدة. لكن هذه القيود لم تمنع الدراسات المتضمنة في الكتاب من كسر سلسلة من التحيزات التحليلية الشائعة جدًا في حقل العلوم الاجتماعية في مجالات الإعلام في البلدان التي تتحكم بقوة في إنتاج ونشر المعلومات.

إن مدى التحولات المعاصرة التي أعقبت تطور وسائل الإعلام الخاصة غير الحزبية في تسعينيات القرن الماضي أو العقد الأول من القرن الحادي والعشرين يدعونا، أولاً، إلى نبذ أي نهج سياسي واختزالي، حيث لا يمكن دراسة إعادة تشكيل المساحات الإعلامية في المغرب كما في الجزائر وتونس ومصر فقط في ضوء "الانفتاحات" السياسية والمؤسسية التي تمنحها أو تفرضها الأنظمة القائمة. وغالبًا ما يتم تحديد هذه الفترات بفترات تاريخية دقيقة. أدت أهمية القيود السياسية التي تثقل كاهل وسائل الإعلام في هذه البلدان إلى تركيز المراقبين لفترة طويلة على "النظام" أو الدولة وحدها، بوصفها فاعلا احتكاريا، وكذلك على تطور الأنظمة القانونية للصحافة. وعلى الرغم من الأهمية التي لا يمكن إنكارها لدور النظام السياسي وتشريعاته، فإن معظم هذه الأعمال تعاني تحيزا مؤسسيا.

دراسة الصحافة والإعلام تحتل مكانًا صغيرًا جدًا في البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، على الرغم من أن المساحات الإعلامية في هذه المنطقة قد شهدت تحولات منذ التسعينيات (الجزيرة).

كما يشير قسم واسع من الكتاب على المستوى المنهجي إلى "مدرك الوطنية أو الوحدة الوطنية" بوصفه عاملاً أساسياً في سياسات الدولة تجاه وسائل الإعلام في دول مثل الجزائر والمغرب ومصر، حيث تصبح مساحة الحديث في المجالين السياسي والإعلامي محدودة بتعدد "الخطوط الحمراء" فيما يتعلق بالسياسة والدين والجيش ووحدة الأراضي.

لم تعد الدولة أو النظم السياسية تحتكر وسائل الإعلام تحت وطأة التطور التكنولوجي، ولم يعد الإعلام جهازاً أيديولوجيا فعالاً للنظام السياسي.

الأجهزة التنظيمية المستقلة

المدخل الأول الذي يقترحه الكتاب لدراسة هذه التحولات في فضاءات الإعلام الوطنية في الجزائر ومصر والمغرب وتونس هو فحص مسار ولادة وتطور ما يسمى بالهيئات "التنظيمية"، من خلال تحليل علاقتها بالسلطة السياسية ومختلف الفاعلين الذين يتدخلون في المجال الإعلامي (رأس المال، الصحفيين ...).

في الفصل الأول، المخصص للتنظيم السمعي البصري في تونس ما بعد بن علي، يشكك العربي شويخة، الأستاذ في معهد الصحافة وعلوم الإخبار في تونس، في مدى مرونة هذا النوع من الهيئات: من ناحية ولادتها في سياق سياسي غير مستقر بشكل خاص؛ ومن ناحية أخرى، في تعاملها مع مشهد إعلامي في حالة تحول مستمر ورأسمال غير مستقر، تميز بشكل خاص بظهور رجال الأعمال على رأس القنوات التلفزيونية التجارية وتوظيف وسائل الإعلام في الصراع على السلطة. وكذلك استمرار سيطرة الدولة على وسائل الإعلام من حيث الملكية، بالإضافة إلى أنها تمتلك قناتين تلفزيونيتين، الوطنية 1 والوطنية 2، ومؤسسة الإذاعة التونسية التي تدير حوالي عشر محطات إذاعية منتشرة في جميع أنحاء البلاد، فهي مساهم في عدة وسائل إعلامية خاصة، كانت أسهمها مملوكة لعائلة بن علي، ثم صودرت، مثل إذاعة شمس إف إم وزيتونة إف إم الدينية.

لكن الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمعظم هذه المؤسسات، العامة منها وتلك التي تمت مصادرتها، أصبح محفوفًا بالمخاطر حيث يعاني العديد منها صعوبات هيكلية (زيادة عدد الموظفين، وسوء الإدارة)، وجميع الحكومات المتعاقبة منذ 14 يناير/ كانون الثاني 2011 مترددة في إجراء إصلاحات جذرية، خوفًا من المسؤولية الاجتماعية لعشرات الموظفين والعاملين.

من خلال تحليل أنشطة الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري خلال انتخابات 2019 وبناءً على مقابلات مع الجهات الفاعلة المعنية، يوضح بن شويخة حدود ومفارقات هذه الهيئة.

وبينما كان من المفترض أن تضمن الهيئة العليا للاتصال تعددية الأفكار، وحياد الإعلام، وتكافؤ الفرص بين جميع المرشحين، فإنها ظلت عاجزة عن تنفيذ أو تطبيق قراراتها، خاصة مع وجود قنوات تلفزيونية ومحطات إذاعية تبث دون ترخيص من الهيئة، ويعود ذلك أساساً إلى هشاشة مؤسسات الدولة وخاصة في ظل نظام التوافق الذي كان حاكماً بين 2014 و2019. ومع ذلك، يظل وجودها ضروريًا، فيما يتعلق بـ"المعايير الدولية للتنظيم الديمقراطي"، ولا يمكن فصله عن استراتيجيات الشرعية السياسية للحكومات المختلفة بعد عام 2011.

وفي الفصل الثاني يحاول أحمد حداس، الأستاذ في المعهد العالي للإعلام والاتصال في الرباط، تحليل السياقات التي ولد فيها المجلس الوطني للصحافة في المغرب وطبيعته المؤسسية وأهدافه، منطلقاً من فرضية تشكيكية في الهدف الحقيقي من إنشاء هذا الهيكل التنظيمي للمهنة: هل هو هيئة لتنظيم الصحافة وتعزيز حرية الصحافة أم أداة للرقابة في خدمة السلطة؟ فبعد سنوات من إدارة الإعلام في المغرب الأقصى من خلال آليات يمكن وصفها بالعقابية،

يشير محررو الكتاب إلى القيود التي اعترضت بعض الباحثين في عملهم، لا سيما في الجزائر ومصر، حيث لم يعد التضييق يستهدف الصحفيين فحسب، بل يستهدف أيضًا الأكاديميين والباحثين (الجزيرة).

أقر دستور 2011 إنشاء هيئة دستورية هي المجلس الوطني للصحافة، مهمتها تنظيم المهنة في القطاع الخاص حصراً، حيث يخضع الصحفيون في القطاع العام للقوانين واللوائح الداخلية لمؤسساتهم. يشير حداس بوضوح إلى هذا التناقض الذي يحكم عمل المجلس. ليس ذلك فقط، بل يتعداه إلى طريقة اشتغاله وعضويته، حيث يتلقى موازنته من الحكومة ولكن يدار من طرف محترفين في المهنة. ويخلص الباحث إلى أن المجلس أقرب إلى أن يكون أداة تحكم تعيد من خلالها السلطة السياسية إنتاج حالة السيطرة على الصحافة بوجه أكثر ديمقراطية.

تتمثل أبرز التحولات التي عرفها الإعلام في ظهور «جهات فاعلة» جديدة بخلاف الدولة والأحزاب السياسية، تستثمر اليوم في هذا القطاع: رجال الأعمال، الصحفيون، المراسلون، المتخصصون في التسويق، والمجتمع المدني.

في الفصل الثالث يدرس شريف إدريس، الأستاذ في المدرسة الوطنية للصحافة وعلوم المعلومات بالجزائر، "الرقابة الشديدة على مجال الإعلام في الجزائر" من خلال تحليل القوانين الجديدة لتنظيم الإعلام في البلاد. في عام 2012، صدر قانون أساسي بشأن المعلومات وتقنين مجال الإعلام، وتم تعزيز هذا النظام القانوني في مارس/آذار 2014 من خلال قانون السمعي البصري، وفي آب/أغسطس 2016، عبر تنفيذ المراسيم التي تحدد شروط إنشاء محطات تلفزيونية وإذاعية خاصة. سمح التكوين القانوني الجديد بتعددية وسائل الإعلام وكسر احتكار الدولة للوسائل السمعية والبصرية. وفي خلفية هذه الطفرات القانونية، تبرز مسألة تنظيمه. ينص القانون الأساسي لعام 2012 على وجود سلطتين في هذا المجال: واحدة للقطاع السمعي البصري والأخرى للصحافة المكتوبة.

ولئن تم إنشاء الأولى في عام 2014، مدعومةً بنص قانون يحكم هذا القطاع، فإن تنظيم الصحافة المكتوبة ما زال بطيئًا. إن تنظيم وسائل الإعلام الجزائرية بكل تنوعها هو الموضوع الرئيسي لهذا الفصل، حيث ستكون المسألة ليست فقط الإطار القانوني والمؤسسي الذي يحكم هذا النشاط ولكن أيضًا طريقة التنظيم المعتمدة في هذا الشأن. ومع ذلك، لا يمكن دراسة السياسات التنظيمية بمعزل عن سياقها السياسي. فالتحولات في الفضاء الإعلامي الجزائري هي أيضًا نتيجة لإعادة التشكيل السياسي التي تهدف إلى السماح للنظام بإعادة إنتاج نفسه.

تحديات إعادة التشكيل

يعالج الفصل الرابع والخامس والسادس مسألة تحديات إعادة هيكلة الفضاءات الإعلامية الوطنية في شمال أفريقيا بعد تطور الإعلام الخاص، من خلال نماذج من مصر والمغرب عبر استقراء الشروط التاريخية لنشوء وسائل الإعلام الخاصة، التي هي نتاج العلاقة بين المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية. في الفصل الرابع يدرس بشير بن عزيز، الباحث في جامعة كوت دازور الفرنسية، زاوية شديدة التفصيل في الصحافة المصرية خلال العشرية الأولى من هذا القرن وهو بروز شخصية "صحفي الحركة الاجتماعية" التي ميزت الصحف المستقلة في آخر عهد حسني مبارك. وقد تزامن ذلك مع تطور الحركات الاجتماعية، ونجاح الصحف الخاصة غير الحزبية في افتكاك الجمهور من الصحف الحكومية المهيمنة ووصول جيل جديد من الصحفيين. ويحلل بن عزيز بالاستناد إلى دراسة السير الذاتية المهنية للصحفيين، كيفية إضفاء الشرعية على شخصيات من هذه الفئة. كما يشير الباحث إلى أن توسيع رأس المال الضخم لقطاع الإعلام شكّل خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين الحل التاريخي لمختلف القيود المفروضة منذ الستينيات لمنع ظهور صحافة تنتقد السلطة. وقد أدى عجز الصحافة عن

ظهرت صحف مستقلة بالمغرب تعتمد على عائدات الإعلانات الكبيرة، وعلى قراء يتألفون من الأجزاء الحضرية ذات الرأسمال الاقتصادي والثقافي، أي إنها إحدى تعبيرات الشرائح العليا من الطبقة الوسطى (غيتي).

الدفاع عن "مُثُل 25 إلى عودة الجيش إلى السلطة وإلى تحديد موقع الديناميكيات السياسية". في هذا الواقع الجديد تراجعت "صحافة الحركة الاجتماعية" لفائدة "الصحافة الحقوقية" حيث لم يعد التركيز على الحركة الاجتماعية بل على قضايا حقوق الإنسان ومتابعة القضايا المرفوعة على الإعلاميين أو المعارضين السياسيين أو النشطاء أو الفاعلين في المجتمع المدني.

يقدم المؤلفون القادمون من تخصصات مختلفة تحاليل قائمة أساساً على استطلاعات ميدانية حول وسائل الإعلام في الجزائر ومصر والمغرب وتونس، في قطع مع ظاهرة «البحث العلمي الجالس».

في فصل خامس بعنوان "السمعي البصري في مصر من 2000 إلى 2020: قطاع تحت السيطرة" تحلل ماريا أديب، المدرسة المساعدة في جامعة ليل الفرنسية، التحولات التي شهدها قطاع السمعي البصري في مصر بين النظامين السابق والحالي. يتعلق الأول بـ"الاستبداد المرن" خلال العقد الأخير من ولايات حسني مبارك (1981-2011). فقد اتسم هذا التكوين بإلغاء احتكار الدولة للقطاع. أما الثاني فيتعلق بمصر ما بعد 2013، حيث قرر عبد الفتاح السياسي إعادة إنتاج حالة الاحتكار التي كانت قائمة قبل عام 2001، تاريخ إنشاء قناة دريم تي في، وهي أول قناة فضائية خاصة أسسها رجل الأعمال المصري أحمد بهجت. تفسر الباحثة التحولات التي حدثت على مستوى ملكية وسائل الإعلام بطبيعة كل نظام سياسي. كان مبارك، بداية من التسعينات، قد أقام نظامه على طبقة اجتماعية مؤلفة من رجال الأعمال والبورجوازية الكبيرة وبالتالي كان مجبراً على خوض تجربة الخصخصة في كل القطاعات دون استثناء. في المقابل تتكون الطبقة الحاكمة في عهد السيسي أساساً من النخبة العسكرية التي تميل إلى نزعة الاحتكار بقوة الدولة في جميع قطاعات الاقتصاد، ولا سيما الإعلام بوصفه قطاعاً اقتصادياً وجهازاً دعائياً في الوقت نفسه. وهذه النزعة الاحتكارية أدت في النهاية إلى حالة من مصادرة الخطاب العام وتوحيد محتوى الوسائط.

وفي الفصل السادس يدرس دومينيك مارشيتي، مدير الأبحاث في المركز الوطني للبحوث العلمية، (فرنسا) الشروط التاريخية والسياسية لولادة الصحف الخاصة غير الحزبية في المغرب من خلال نموذج صحيفتين اقتصاديتين. كان المشهد الصحفي المغربي منذ الاستقلال حتى تسعينات القرن الماضي مقسماً بين الصحافة "الرسمية" والصحف اليومية للأحزاب السياسية. في العقد الأخير من القرن العشرين بدأت تظهر للوجود صحف مستقلة خاصة هي جزء من عملية "التحرير" الاقتصادي والسياسي للمغرب منذ نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات في سياق الاندماج الدولي في "تحرير" الاقتصاد والتجارة. ولأنها وليدة هذا السياق التحرري، فإن هذه الصحف الجديدة كان أغلبها يدافع عن "التحرير"، و"التحديث" الاقتصادي والسياسي للمغرب. ويعتمد مروجوها بشكل أساسي على عائدات الإعلانات الكبيرة، وعلى قراء يتألفون من الأجزاء الحضرية من الفضاء الاجتماعي الذي يتمتع بأكبر قدر من رأس المال الاقتصادي والثقافي، أي إنها إحدى تعبيرات الشرائح العليا من الطبقة الوسطى، الساعية إلى ليبرالية الفضاء السياسي والاقتصادي.

المراجع:

1- Bachir Benaziz, Abdelfettah Benchenna et Dominique Marchetti (dir).

2- Les Espaces des(im)possibles. Les médias en Afrique du Nord depuis les années 1990

3- Rabat, Éditions du Centre Jacques Berque, 2021.

عند التغطية الإخبارية في أفغانستان.. الناس هم الأهم

سُرَيّا سلام

اختارت جل وسائل الإعلام العالمية التركيز على خبر انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، بينما مزقت الحروب المتتالية حياة ملايين الأفغان. بين صراعات الكبار، وحسابات السياسة، ضاعت قصص الفقر، التهجير، ضياع الأحلام التي لم ترو بعد.

لدى الأفغانيين أمور على المحك أكثر بكثير من أي أحد آخر، وهم يريدون سلاما حقيقيا ودائما أكثر من أي أطراف داخلية أو خارجية تتحدث إلى العالم عبر الميكروفونات (غيتي).

"لا أريد أن أدفن في أفغانستان"، قالها جدي وعيناه الزرقاوان الثاقبتان تلتمعان، وهو يحاول أن يخفي نبرة الجزم في صوته.

ربما كان الطلب الذي طلبه قبل موته عام 2011 يبدو غير عاد، خاصة وأنه ابن رجل قندهاري معتد بانتمائه، ودبلوماسي أفغاني سابق غدا باحثا غزير الإنتاج في الدراسات المتعلقة بعرقية البشتون.

ولكن بالنسبة لي أنا وعائلتي، ألفينا أن ذلك الطلب نابع من ألم عميق، وهو الألم ذاته الذي يشعر به العاشق تجاه معشوقه عندما يراه قد ضل الطريق ولم يعد الشخص ذاته الذي وقع في حبه.

لقد أراد أن يدفن في البلد الذي أصبح موطنه على مدى السنوات الثلاثين السابقة: أمريكا، رغم أن ذلك سيعني دفنه في تربة أخرى غير تلك التي دفن فيها أجداده، وذلك كما قال لي لأن أفغانستان اليوم لم تعد أفغانستان التي عرفها.

طالما أحب أن يدفئ قلبه بذكرياته الأثيرة، عندما بدت له بلاده تتهيأ لمستقبل مزدهر، وكانت حقوق الإنسان والتعليم الجيد على وشك النهوض، وكان الدين مصدرا للأخلاق والحياة القائمة على المبادئ، لا مجرد رأس مال سياسي.

عاش الشعب الأفغاني لعقود، فترات حروب، من الغزو السوفييتي عام 1979، عندما غادرت والدتي مع عائلتها إلى الولايات المتحدة وحتى الحروب الأهلية والغزو الأمريكي عام 2001. الملايين من الناس قتلوا وشوهت أجسادهم وأصبحوا لاجئين.

قبل عام، أعادت طالبان فرض سيطرتها الكاملة على البلاد في خطوة لم يتوقع أحد، إلا قليلون، أن تحدث بتلك السرعة. ومنذ ذلك الوقت والجماعة تحاول التعامل مع كونها الطرف الذي عليه تحمل تبعات هجمات تشن ضد الشعب الذي تحكمه، كما أنها كانت تخوض معركتها الخاصة للحصول على الشرعية أمام المجتمع الدولي.

"القصص التي يجب أن نرويها هي تلك التي تروي قصة إنسان، لا كما تُروى تراجيديا لا هدف لها سوى التراجيديا، ولا كما تُكرر لازمة أغنية حزينة."

ولكن في قلب هذه القصة المفطور نجد القصص الحقيقية التي عاشها أفغانيون يصارعون من أجل توفير أقوات عائلاتهم، ومن أجل إعادة بناء بلدهم بعد سنوات طويلة من تمركزها في مرمى النيران، وهم الذين اقتلعوا من ديارهم أو ربما حصل لهم ما هو أسوأ من ذلك.

أما الآن فالقصص التي يجب أن نرويها هي تلك التي تروي قصة إنسان، لا كما تُروى تراجيديا لا هدف لها سوى التراجيديا، ولا كما تُكرر لازمة أغنية حزينة عن الأفغانيين، لم نتوقف عن تكرارها منذ أعوام بكلماتها الكئيبة ذاتها، بل بوصفها تجسد المسؤولية التي علينا، بأن نضع الناس في مقدمة الرواية الأفغانية، لا في القيادة السياسية فقط. قصص من قبيل ما يشعر به رجال ونساء حساسون وأذكياء وفي مقتبل العمر ولهم أحلامهم الخاصة، عندما يصبحون مجرد سقط متاع في سياسات فاشلة، يمزقهم أشخاص لا يعرفون حتى أسماءهم، وعندما ينبذون فيوصفون من قبل قوات أجنبية بأنهم مجرد "أضرار

هنالك الكثير من القصص في أفغانستان، ونحن لا نروي القدر الكافي منها (غيتي).

جانبية،" وكأن وجودهم لم يكن حاملا لمغزى ذات يوم. أو قصص عن أطفال يذهبون إلى النوم ذات ليلة بعد أن تُسكِن خواطرَهم دندنات أمهاتهم وآبائهم الرقيقة، ليستيقظوا في الصباح وحيدين وقد خُطِفوا من عائلات كانت الحضن الوحيد الذي عرفوه، فما الذي جرى لهم؟

ربما انتهت الحرب، ولكن دمارها لا يزال موجودا، وإعادة الإعمار لن تكون أمرا سهلا عندما يتخلى عنك بقية العالم، حرفيا، بين عشية وضحاها.

"الأفغانيون بحاجة لأن يسمع رأيهم في بلادهم بدلا من أن يتحدث أشخاص آخرون باسمهم، ونحن نستطيع أن نُسمِع صوتهم للعالم. هم يستحقون أن نقدم ذلك لهم."

ما زلنا نذكر المشاهد السريالية من العام الماضي: الأفغانيون يتشبثون بطائرة تابعة للقوات الجوية الأمريكية فيما لا يمكن وصفه إلا بأنه اليأس بشحمه ولحمه. لم يعرفوا بالضبط أين سينتهي بهم الأمر ولا إن كان بإمكانهم أن ينجحوا أصلا في المغادرة، ولكنهم تشبثوا بقناعة كانت أكبر من الخوف بكثير، إذ إنهم علموا أنهم لم يعودوا يريدون البقاء في موطنهم.

قابلت مؤخرا شخصا نجح في القدوم إلى الولايات المتحدة من مطار كابل العام الماضي، وهو ابن بالتبني لأحد الأشخاص المقربين إلي. كان علي (اسم غير حقيقي لحماية هويته) في الثانية عشرة من عمره، واحدا من عشرة أطفال، اختارته عائلته ليقفز، حرفيا، مغمض العينين أملا بما يمكن أن يتغير في مصيره.

بوصفي أما لثلاثة أطفال لا يمكنني إلا أن أتصور الألم الدفين والهيئة التي لا بد أن الأم كانت عليها عندما كانت تودع ابنها وهي تعرف جيدا أنها لن تراه مجددا قبل سنوات عديدة على الأرجح، وذلك إن حالفها الحظ.

في المرات المعدودة التي تواصلت فيها مع علي اتضحت لي بضعة أمور، وهي أنه كان يبذل جهده ليبدي رباطة جأشه ويتظاهر بالصلابة، رغم أنه لم يكن في الحقيقة صلبا، بل كان رقيق القلب وحساسا، إذ كان مجرد صبي ألقيت على عاتقه مسؤولية انتشال عائلته من حياة الفقر، وإن ذلك لحملٌ جدّ ثقيل.

اشتاق إلى عائلته كثيرا حتى تألم، وتضاعف ألمه في اللحظات التي لم يتمكن فيها من التواصل معهم عبر مكالمات واتساب المصورة. كان خائفا وكان شعوره بهويته يتضاءل.

هنالك الكثير من القصص المشابهة، ونحن لا نروي القدر الكافي منها.

هنالك قصة رويناها العام الماضي ولكنني لا أستطيع صرفها عن ذهني، وهي عن آلاف الأفغانيين الذين كانوا يفرون من العنف قبل فرض طالبان سيطرتها، ومن بينهم غلام، سائق عربة من قندوز، الذي قال لمراسلنا: "بيتنا الجميل اختفى. النيران تشتعل به الآن."

وفي جزء آخر من المقال، تجمع أم اسمها سامية أطفالها السبعة في منتصف الليل لتهرب بهم إلى كابل، أما عن الأسباب التي أجبرتها على الهرب من منزلها فتقول: "كلا الطرفين يطلقون النار من دون

القصص التي تروى عن أفغانستان لا تلمس الواقع الحقيقي للأفغانيين (غيتي).

النظر إلى ما يصوبون تجاهه". كان جدي محظوظا بالقدر الكافي ليجد وسيلة ناجعة للهروب من الحرب، وليكون له بعد ذلك الخيار في العودة أو البقاء مرتاحا في بلد آخر. ورغم أنه لم يعش بعد ذلك في أفغانستان، إلا أنني أعرف أنها عاشت فيه وأنه أفنى من عمره عقودا في المهجر ليخدم وطنه بقلمه بدلا من وجوده هناك بجسده.

لكن هناك ملايين الأفغانيين الذين لم يكونوا ميسوري الحال، لذلك علينا أن نسأل: ما الذي سيتم عمله لإعادة بناء منزل غلام الجميل؟ وكيف سيقوم المسؤولون بدعم أطفال مثل علي أو أمهات مثل سامية؟ وماذا عن الأفغانيين اليافعين الذين يعيشون تحت حكم طالبان والذين لم يكونوا مولودين عندما كانت الجماعة على رأس السلطة من قبل؟ كيف يشعرون حيال ذلك؟ لدى الأفغانيين أمور على المحك أكثر بكثير من أي أحد آخر، وهم يريدون سلاما حقيقيا ودائما أكثر من أي أطراف داخلية أو خارجية تتحدث إلى العالم عبر الميكروفونات. هم بحاجة لأن يسمع رأيهم في بلادهم بدلا من أن يتحدث أشخاص آخرون باسمهم، ونحن نستطيع أن نُسمِع صوتهم للعالم. هم يستحقون أن نقدم ذلك لهم.

فيما يلي أمثلة على قصص تؤدي تلك المهمة: من عائلات احتاجت المال إلى حد دفعها إلى بيع بناتها، إلى الأم الهزارية التي تكتب رسالة إلى ابنها الذي أنجبته يوم استعادة طالبان للسيطرة على كابل.

هل نجح «الفيسبوك» في قيادة الرأي العام الليبي؟

خلود الفلاح

يوما بعد يوم، تصبح منصة فيسبوك في ليبيا الأقوى تأثيرا في المشهد السياسي سواء في مساءلة حصيلة الحكومة أو في دفعها لتبني سياسات جديدة. لكن هذا التأثير يواجه محاولات حثيثة من السلطة لـ «تقنين» الحرية بتهم جنائية.

أتاح الفضاء الرقمي حرية كبيرة في التعبير عن الرأي دون قيد أو شرط. وهو يتوسع بشكل كبير، فمن المواقع والمدونات إلى مواقع التواصل الاجتماعي التي استخدمت عام 2011، إبان الربيع العربي في نقل ما يجري في الشارع أو ما عرف بمصطلح "صحافة المواطن" بعيدا عن الإعلام الرسمي، ومنذ ذلك الوقت تحظى هذه المواقع باهتمام كبير.

في ليبيا مثلا، أشار استطلاع أجرته المنصة الليبية أنير المتخصصة في التوعية في شؤون الإنترنت الآمن والتحقق من الأخبار الزائفة والمعلومات المضللة إلى أن حوالي 57 بالمئة من المشاركين يستخدمون منصتي "الفيسبوك" و"الإنستغرام" كمصدرين أساسيين لمتابعة الأخبار.

يطرح هذا التقرير العديد من التساؤلات حول منصة "الفيسبوك" ومدى تأثيرها في قيادة الرأي العام الليبي وتشكيله، ولماذا عجزت وسائل الإعلام كالتلفزيون والصحافة المكتوبة عن بناء الثقة مع المواطن ومده بحقيقة ما يجري بحيادية؟ ولماذا يعتبر البعض أن الفيسبوك تحول إلى منصة لبث خطاب الكراهية وإشعال الحروب على الأرض؟

ضمن هذه الديناميكية، أقر البرلمان الليبي قبل حوالي سنة قانون الجرائم الإلكترونية، الذي وصف بـ "القانون القمعي" لأنه يمنح الجهات القضائية سلطة كبيرة للحد من حرية التعبير في الفضاء الرقمي. الأمر الذي دفع المنظمات الحقوقية لمطالبة البرلمان بسرعة سحب القانون لاحتوائه مصطلحات فضفاضة وعقوبات تتعارض مع المادة رقم 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية التي تنص على أن "لكل إنسان الحق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء في شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها". بالإضافة إلى أن

تتغذى الحرب في ليبيا بالحسابات المزيفة على الفيسبوك (غيتي).

الإعلان الدستوري الليبي لسنة 2011، ينص على التزام الدولة بضمان حرية الرأي والتعبير وحرية الصحافة والنشر.

ويتضمن قانون الجرائم الإلكترونية عددا من المواد التي تشكل خطرا على الحقوق والحريات. فالمادة رقم 5 نصت على أن المواقع الإلكترونية وأنظمة المعلومات الرقمية ملك لأصحابها، ولا يجوز الدخول إليها دون موافقة صريحة من مالكها.

كما تمنح المادة رقم 7 السلطات الليبية حق الرقابة الشاملة على كل ما ينشر على شبكات التواصل الاجتماعي و"أي نظام تقني آخر"، بالإضافة إلى تمكين الهيئة الوطنية لسلامة وأمن المعلومات -وهي هيئة إدارية تقنية تابعة للحكومة- من حجب المواقع والمحتوى بدون أحكام قضائية، تحت مبرر شبهة إثارة النعرات العنصرية أو الجهوية أو الأفكار الدينية أو المذهبية المتطرفة التي من شأنها زعزعة أمن المجتمع واستقراره. بالإضافة إلى ذلك، يهدّد القانون حرية النشر في المادة رقم 9.

ويعاقب نفس القانون، بالحبس مدة لا تقل عن سنة كل من "مزج أو ركب بغير تصريح مكتوب أو إلكتروني من صاحب الشأن صوتًا أو صورة لأحد الأشخاص باستخدام شبكة المعلومات الدولية أو بأي وسيلة إلكترونية أخرى بقصد الإضرار

بالآخريـن". ويثيـر القلـق أن هـذه المـادة لا تقـدم اسـتثناءات فيما يتعلـق بالشـخصيات العامـة أو السياسـية، الأمـر الـذي قـد يقيـد حريـة التعبيـر.

> **أقـر البرلمـان الليبـي قبـل حوالـي سـنة قانـون الجرائـم الإلكترونيـة، الـذي وصـف بــ «القانـون القمعـي» لأنـه يمنح الجهـات القضائيـة سـلطة كبيـرة للحـد مـن حريـة التعبير فـي الفضـاء الرقمـي.**

أما المـادة رقـم 35 مـن القانـون، فتكمـن فيهـا خطـورة القانـون وصبغتـه القمعيـة، إذ تقضـي بحبـس "كل مـن علـم بارتـكاب أي مـن الجرائـم المنصـوص عليهـا في هـذا القانـون أو بالشـروع فيهـا". كمـا يسـمح القانـون، بحسـب المـادة رقـم 37، بالسـجن لمـدة قـد تصـل إلـى 15 عامًا وغرامـة ماليـة باهظـة لا تقـل عـن عشـرة آلاف دينـار ليبـي "لـكل مـن بـث إشـاعة أو نشـر معلومـات أو بيانـات تهـدد الأمـن أو السـلامة العامـة فـي الدولـة أو أي دولـة أخـرى".

وتحـذر المنظمـات الصحفيـة والحقوقيـة الليبيـة مـن خطـورة اسـتخدام هـذه المـادة لاسـتهداف ومعاقبـة الصحفييـن والصحفيـات، والمدافعيـن عـن حقـوق الإنسـان، أو المبلغيـن عـن وقائـع الفسـاد، وغيرهـم مـن مسـتخدمي الإنترنـت، وتجريـم نشـر ومشـاركة أي محتـوى يوثـق انتهـاكات حقوق الإنسـان أو يعـارض السياسـات العامـة فـي ليبيـا، أو أيـة معلومات ذات مصلحـة عامـة مشـروعة.

ويشـير مدققـو الحقائـق فـي ليبيـا، إلـى أن اضطـراب المعلومات

يحذر الصحفيون من خطورة استخدام القانون الإلكتروني لاستهداف ومعاقبة الصحفيين والصحفيات، أو المبلغين عن وقائع الفساد، وغيرهم من مستخدمي الإنترنت (غيتي).

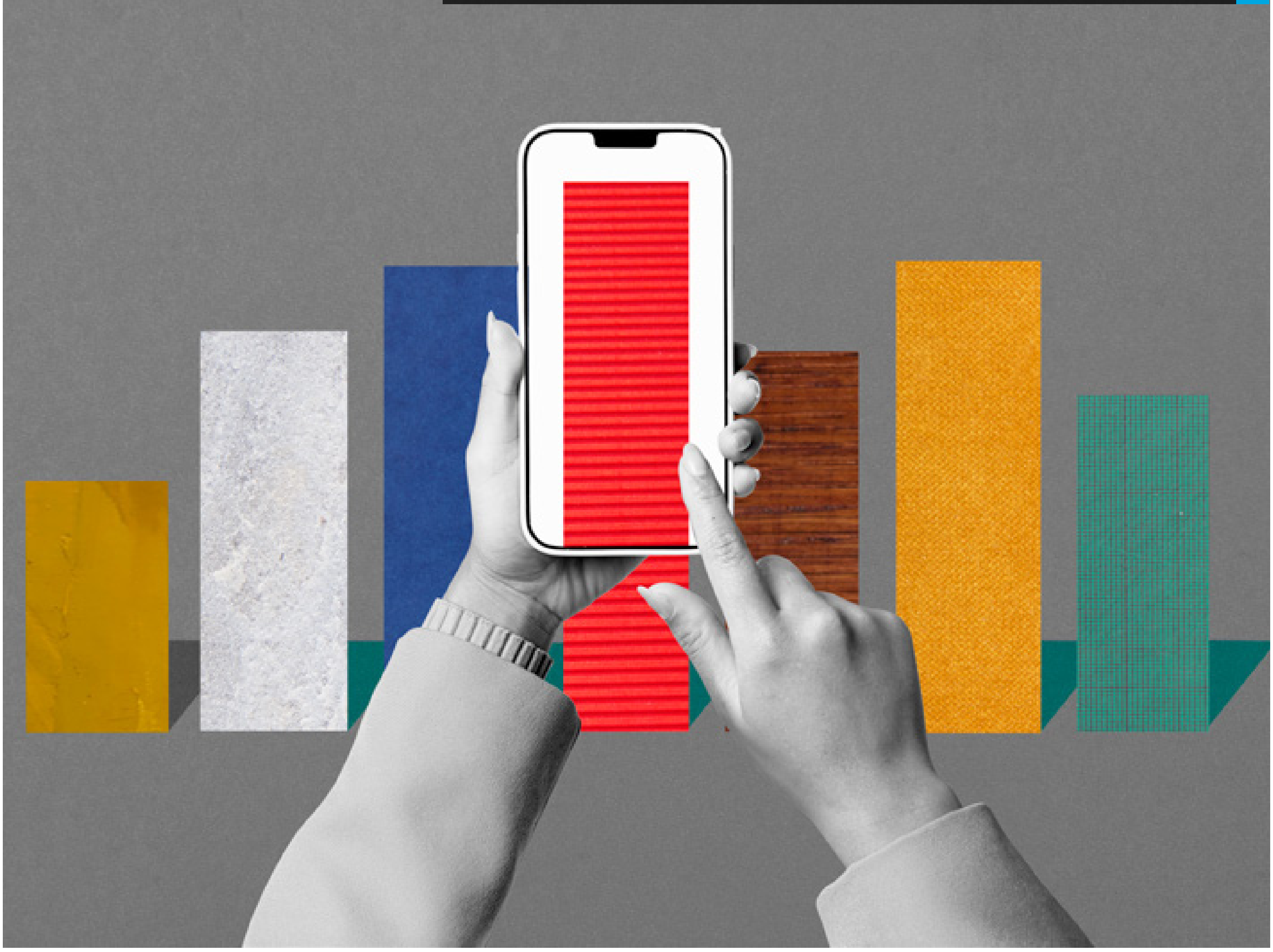

في ليبيا من السهل جدا أن تغير الحكومة قرارات صائبة ومدروسة لمجرد أن هناك حملة فيسبوكية ضدها والعكس صحيح (تصوير: دادو روفيك - رويترز).

وصل مرحلة متقدمة والتزييفات أكثر تعقيدا ويهدد المجتمعات وينبغي على الصحفيين ووسائل الإعلام والمنظمات التعامل معه بشكل أكثر جدية، وأن المكون الأساسي في التضليل هو التلاعب بالمعلومات عن طريق حسابات مزيفة موجهة خارجيا وفي العادة تظهر كحسابات لمواطنين من البلد. وبالتالي فإن التوعية يمكن أن تحدث فرقا في محاربة اضطراب المعلومات، إضافة أن وسائل التواصل الاجتماعي ساهمت في انتشار المعلومات الخاطئة والمضللة بشكل أكبر، ووجود قانون واضح للجرائم الالكترونيّة قد يساهم في الحل.

المكون الأساسي في التضليل هو التلاعب بالمعلومات عن طريق حسابات مزيفة موجهة خارجيا وفي العادة تظهر كحسابات لمواطنين من البلد.

هذا الرأي تتفق معه أيضا الصحفية نورا الجربي التي تقول "إن فيسبوك أصبح أداة لتضليل الرأي العام وتأجيجه من خلال تضخيم المعلومات وتحريفها وحتى اختلاقها من الأساس".

كما أن الدكتور عادل المزوغي، رئيس قسم الصحافة بجامعة الزيتونة الليبية يبرز أن الفيسبوك تحديدا في بلد مثل ليبيا له تأثير في رسم السياسات العامة للحكومات المتعاقبة حيث تأخذ بعين الاعتبار مداولات منصات التواصل الاجتماعي وتركز على الموضوعات الأكثر تداولا وعلى ضوئها تتخذ التدابير والقرارات التي قد لا تكون مناسبة. ويرى المزوغي أن مجريات الفيسبوك وأغلب وسائل التواصل الاجتماعي هي آراء وأفكار فضفاضة غير مقننة مستنبطة من الرأي العام فحسب، من غير المفترض أن تبني الحكومات عليها وتتخذ القرارات مباشرة من خلالها، للأسف في ليبيا من السهل جدا أن تغير الحكومة قرارات صائبة ومدروسة لمجرد أن هناك حملة فيسبوكية ضدها والعكس صحيح".

نقاش تأثير الفيسبوك على وسائل الإعلام، كان دائما مثار نقاش بين الصحفيين الليبيين، حيث يعتبر الصحفي حسام الطير، مدير شبكة أصوات للإعلام، أن الفيسبوك استخدم كأداة للحرب من خلال إنشاء صفحات افتراضية لمحاربة معارضيهم سواء بالكذب أو بالسب أو بالتشهير أو بالدعوة للعنف. وبالتالي تتنوع طرق وقوالب نشر خطاب الكراهية من مناشير وصور وفيديوهات وتسجيلات صوتية يتم التدخل فيها مما يفقدها المصداقية والمهنية.

ليس هناك من سبل لمحاربة ذلك حسب الطير سوى التحقق من الأخبار الزائفة بإرسال روابط المناشير التي تحتوي على الأخبار الزائفة إلى المنصات الخاصة بالتحقق. بالإضافة إلى الاعتماد على الصفحات الموثقة والرسمية أثناء تلقف الأخبار والمعلومات.

من فيلسوف إلى حكواتيّ.. كيف أثّرت التكنولوجيا على الصحفي

أحمد أبو حمد

تاريخياً كانت التقاطعات بين الصحافة والفلسفة والفكر كثيرة ومتشابكة، كلاهما يلقي بظلاله على الآخر، لكن مع التحولات الرقمية على الصحافة بدأت نقاط الالتقاء بالتباعد والتلاشي، فما هي الأسباب وراء ذلك، وهل لا يزال من الممكن أن يستفيد المجالين من بعضهما البعض؟

خلال القرنين الماضيين كان من الطبيعي أن ترى التقاطع في حياة الكثير من الفلاسفة والأدباء مع مهنة الصحافة، فمنهم من عمل صحفياً أو مراسلاً حربياً أو محرراً أو حتى كاتب مقالات رأي، والمقام هنا لا يتسع لذكرهم جميعاً لكن على سبيل المثال ثمة فريدريك انجلز وكارل ماركس، بيرتراند راسل، حنّة آرندت، سيمون دي بوفوار، غسان كنفاني، جورج أورويل وميشال فوكو.

ولا سر في هذه التقاطعات، إذ إنّ مهنة الصحافة كانت جزءاً مهماً من تكوين الرأي العام، ومن أبرز وسائل الحوار والنقاش المجتمعي وتبادل الأفكار أو نقدها. كما تتيح للصحفيين مساحة جيدة للرصد ومتابعة التحولات المجتمعية والبحث في السياقات التاريخية بهدف شرحها للجمهور، إلى جانب تأثير التعامل اليومي مع اللغة على قدرة هؤلاء المفكّرين على التعبير عن أفكارهم وإيصالها للعامّة.

وحتى مع النقلة النوعية التي طرأت على أخلاقيات الصحافة في منتصف القرن الماضي، والتي وضعت حواجز أمام انخراط الصحفيين في صناعة الأفكار، وحصر دورهم في الرقابة والإبلاغ، بقي العمل الصحفي موضع تقدير شديد لكونه باحثاً عن الحقيقة، ومدافعاً عن الدمقرطة وكاشفاً للفساد. إلا أن هذا الدور، أيضاً، بدأ بالتدهور خلال بدايات القرن الجديد، فتحول دور الصحفيين في قضايا أخذت أبعاداً عالمية من كاشفي الفساد إلى مجرّد رواة. وبدا ذلك واضحاً في تسريبات ويكيليكس وسنودن، وأخيراً تحقيق حي التضامن، التي قام فيها الصحفيون بسرد خطوات الخبراء الذين كشفوا عن الفساد، بقصّة مرويّة بشكل جيد.

فكيف تدهور دور الصحفي؟ باعتقادي أنها آثار الثورة الرقمية، والتغيرات التي طرأت على التعامل مع المعلومات وإنتاجها وتغير طبيعة المهمات المسندة للصحفي واختلاف نوعية المعارف التي يجب عليه الإلمام بها مقارنة بما كان عليه قبل 100 عام.

"جيل لا تعرفه"

لأن التواصل عملية تفاعلية، فلا يمكن فصل العاملين في الصحافة عن الجمهور، الذي تغيّر بدوره مع تغيّر المجتمعات وتأثرها بالحداثة التي عززت لديهم القيم الفردية. على هذا النحو، لم تعد الأخبار تصلح للتداول على طاولة النقاش العام في المقهى أو في الجلسات العامة أو حتى بين الأصدقاء، إنما هي للاستهلاك الفردي، من خلال أدوات فردية مثل الهواتف المحمولة والحواسيب.

انتشار هذه الأدوات الفردية فتح الباب أمام جيل جديد لم يكن قادراً على الوصول إلى الأخبار سابقاً، فأصبح عادياً الوصول إلى الأخبار بالنسبة للأطفال والمراهقين في الجيل Z مقارنة بجيل الألفية، وبهذا النوع الجديد من الجمهور، تغيّر تعريف الخبر، فلا يعقل أن تكون الأخبار التي تعني الكثير لدى المراهقين هي ذاتها لدى البالغين.

ثمة تأثير آخر للحداثة على الجمهور هو أن المعلومة لم تعد تخدم طريقة فهم الناس للأحداث مما يؤدي إلى اتخاذ قرارات أو مواقف أو إجراءات جمعية تجاه قضايا كبرى، لأن الأفراد باتوا أكثر ميلاً للامبالاة والشكّ في القضايا المشتركة والمصلحة العامة حسب المفكر زيغمونت باومان. وهنا تغيرت وظيفة المعلومات لتصبح إما وسائل للترفيه أو مُغذّيات للقلق الدائم والخوف الذي يشعر به الفرد المُعاصر، وهو ما قد يفسّر رواج أخبار الجرائم أكثر من غيرها من الأخبار.

التغريدة المقتضبة التي تختفي عن الجدار الرئيسي خلال مدّة أقصاها نصف ساعة، والفيديوهات التي لا تتجاوز الثواني وتختفي خلال 24 ساعة لا يمكنها أن تحتمل الكثير من العمل الصحفي (موقع إنفاتو).

من الصحفي الموسوعي إلى محركات البحث

لنتخيل أنك محرر جالس على مكتبك في بدايات القرن العشرين، ووصلتك برقية مقتضبة من مراسلك الحربي في دولة ما يبلغك فيها بتقدّم قوات دولة ما في حملتها العسكرية، سيتعين عليك، قبل كل شيء، معرفة كثير من التفاصيل لتتمكن من كتابة خبر متكامل ومفهوم لدى القرّاء، منها جغرافيا البلاد، وأسباب الحرب، والأوضاع السياسية في كلا البلدين وبعض المعلومات عن مجتمع الدولة التي تدور فيها الحرب...

> كانت مهنة الصحافة جزءاً مهماً من تكوين الرأي العام، ومن أبرز وسائل الحوار والنقاش المجتمعي وتبادل الأفكار أو نقده.

أما اليوم فلا يحتاج المحرر إلى تخزين هذا القدر الهائل من المعلومات، فما عليه سوى الاستعانة بأحد محركات البحث للحصول على المعلومات التي ستتبخر من رأسه فور نشر الخبر، مما يُفقده القدرة على الربط بين الأحداث والتحليل، ويقلل من احتمالية تحوله إلى شخص مُلمّ بالكثير من المعلومات في آن واحد، خصوصاً مع وعيه بعدم الحاجة إلى تذكّر أي منها طالما أن محركات البحث توفر هذه الإمكانية.

قد يكون الاعتماد على محركات البحث ساعد الصحفي على تقديم معلومات دقيقة للجمهور أكثر من تلك المخزّنة في ذاكرته، لكن لا يعني ذلك أيضاً أنه لم يأت بجديد طالما وجده على محركات البحث، ودوره الوحيد هو إعادة خلط المعلومات القديمة بالجديدة في قالب قصصي جديد يُشعر القارئ بأن المادّة الصحفية تُقدّم كشفا جديدا في كل فقرة لكنها لا تقدّم إلا القليل في النهاية.

كما أن غياب القدرة على الربط بناءً على الخبرة السابقة يقلل من إمكانية الصحفي تقديمه سياق ثابت ومستقر في بنية القصة كاملة.

مطلوب صحفي تقني برخصة قيادة

بعد وصولي إلى السويد، بدأت أطّلع على طلبات التوظيف في مؤسسات صحفية مختلفة للتعرف على المهارات المطلوبة في هذا البلد. كنت أتفاجأ في كل طلب أن رخصة القيادة عامل مهم يؤخذ بالحسبان عند التقديم على الوظائف الصحفية، لأن المؤسسات الصحفية قد لا تؤمّن سائقا ليرافق الصحفي في تغطياته، إنما تعتمد على قدرة الصحفي على القيادة لتقليل التكاليف التشغيلية ولتوفّر راتب سائق.

الكثير من المؤسسات الإعلامية تقوم بذات الأمر لكن بطريقة مختلفة، فلم يعد يكفي للصحفي أن يمتلك تفكيراً نقدياً وحسّاً فضولياً يدفعه للبحث طوال الوقت ومنطقاً سليماً يمكّنه من الحكم على قراراته التحريرية بشكل جيد، بل عليه أن يمتلك مهارات كثيرة تحوّل وظيفته إلى مجموعة من المهمات التقنية في الأساس.

إجادة تصوير الفيديو والفوتوغراف، ومونتاج الفيديوهات ومعالجة الصور، مع القليل من الغرافيكس، إلى جانب المعرفة الجيدة بنُظم إدارة المحتوى للمواقع الإلكترونية مثل وورد بريس وشيربوينت دروبل، مع إجادة التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي، جميعها مهارات لم تكن مطلوبة من الصحفي قبل 20 عاماً، وأصبحت اليوم أساسيات للمهنة، يضيع فيها الصحفي ويتشابه مع أي شخص يمكنه إتقان جزء منها مثل المواطن الصحفي أو الناشط الإعلامي أو صانع المحتوى، ويضمحل دوره الأساسي كباحث عن الحقيقة.

تأثير أدوات العرض

مع تأثر الجمهور والتقنيات بعصر السرعة والتغيير، بات لزاماً على المعلومة أن تكون سريعة وغير دائمة أيضاً، وهو ما يتمثل بطفرة مواقع التواصل الاجتماعي، فالتغريدة المقتضبة التي تختفي عن الجدار الرئيسي خلال مدّة أقصاها

يغرق الصحفيون أكثر في تطوير وسائل حكاية القصّة رغم أنها ليست أصيلة، ولم يساهم الصحفي في جمع معلوماتها (موقع إنفاتو).

نصف ساعة، والفيديوهات التي لا تتجاوز الثواني وتختفي خلال 24 ساعة لا يمكنها أن تحتمل الكثير من العمل الصحفي.

تحول دور الصحفيين في قضايا أخذت أبعاداً عالمية من كاشفي الفساد إلى مجرّد رواة.

وضمن مزاحمة الصحفي التقني لبقية مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي الذين بات بإمكانهم إنتاج القصص ذاتياً، يغرق الصحفيون أكثر في تطوير وسائل حكاية القصّة رغم أنها ليست أصيلة، ولم يساهم الصحفي في جمع معلوماتها، إنما حصل عليها من وكالات الأنباء هو وعشرات الصحفيين الآخرين الذين سوف يتنافسون حول من يستطيع صناعة حكاية من المواد الأولية الموحّدة.

يُقال إن اللغة وعاء الفكر، ومن هذه المقولة يمكن فهم أن سلامة اللغة دلالة على درجة معينة من الفكر، لكن بغياب الحاجة إلى الكتابة لصالح الفيديو والصورة والنص القصير، لم يعد للصحفي دور في صناعة الفكر بقدر ما يحتاج إلى شد انتباه الجمهور، ولا يمكنه ذلك إلا بزيادة جرعة الإثارة أو الإبهار البصري أو رفع مستوى الحبكة في الفيديو القصير كي يخلق عامل صدمة لدى المتصفّحين تجعلهم يتوقفون عند محتواه للاستهلاك السريع الذي يثير الانفعالات المختلفة، كما كان يثير الحكواتي جمهوره في سهرات المقاهي قبل اجتياح التكنولوجيا للعالم.

التقنية باتت تهدد الوظائف الأصيلة لمهنة الصحافة (موقع شترستوك).

سيف الوطنية المسلط على رقاب الصحفيين

يونس مسكين

تقوض المشاعر الوطنية والقومية أدوار الصحافة الرقابية، لتصبح أداة الأنظمة السياسية من أجل تقييد حرية الصحافة في الانتقاد ومراقبة السلطة.

كان المعيار السائد في قياس جودة الصحافة إلى وقت قريب، هو درجة استقلاليتها. بينما كان المنظرون يأتون في مرحلة موالية ليتساءلوا "الاستقلالية عمن"؟ ويذهب أكثرهم قسوة وصرامة إلى أن الاستقلالية وهم آخر من أوهام زمن ما بعد الحداثة.

وحتى الذين كانوا يميلون إلى الحياد والموضوعية في تناول هذا الموضوع، كانوا يفضلون استعمال مقياس "المهنية" للحكم على جودة الصحافة، وهو مقياس وإن كان "وهما" آخر إلا أنه كان يبدو أكثر فعالية وأداة "آمنة" في تقييم الصحافة.

لكننا اليوم أمام صعود معيار آخر للحكم والقياس، هو مؤشر "الوطنية"، فأصبحنا نقرأ في بلاغات ووثائق مهنية وحقوقية، حديثا يكاد يصنّف الصحافة بين وطنية وخائنة.

الداء واحد والأعراض مختلفة

صحيح أن هناك سياقا كونيا شاملا يتسم بتراجع المد الديمقراطي بصفة عامة، ولم يسلم من ذلك الغرب الذي ظل يقدم نفسه حاملا مشعل الحرية منذ قرنين على الأقل، وبرز ذلك بوضوح في الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت بداية 2022، عندما تحوّل الغرب فجأة إلى مجموعة من القوميات المتشنجة والرافضة لما ظلت تدعي التبشير به من مساواة وانفتاح وإنصاف... لكن علينا أن نعترف أمام ذلك أن تراجع مجتمعاتنا يختلف عن تراجع المجتمعات الغربية.

ففي الوقت الذي يبرز فيه "نفاق" الحضارة الغربية وازدواجية معاييرها بشكل خاص في لحظات المواجهات الدولية والحروب على "الآخر" الذي قد يكون صينيا أو إسلاميا أو روسيا... فإن تراجع الحريات وبروز خطابات الإقصاء والكراهية تبرز بشكل مختلف داخل المجتمع الواحد في السياقات التي لم تدخل أصلا عهد الديمقراطية.

وإذا كان الإعلام الغربي قد تحوّل فجأة إلى منصات للدعاية الحربية بعد الهجوم الروسي على أوكرانيا، فعندنا أصبحت

الصحافة تواجه اختبار الوطنية في مواقف أبسط من ذلك بكثير، أي عندما تهم بتغطية حادث مروري أو حريق غابات أو افتتاح منشأة جديدة.

هناك في الغرب، باتت الصحافة مطالبة بإثبات وطنيتها بنبذ كل ما هو روسي وتوظيف منصاتها ومهاراتها في دعم الجيش الأوكراني وكشف مواقع الجيش الروسي ونقط ضعف أسلحته. وهنا في الضفة الشرقية بات الصحفيون مدعويين إلى حفلة تصفيق لسيارة إسعاف حلّت بموقع الحادث بعد ساعتين لتحمل الجثث والجرحى، والإشادة بفعالية السلطات في محاصرة الحرائق رغم أن المناخ وحده قرر إخمادها.

لقد باتت الصحافة مطالبة بالتخلي عن أدواتها المهنية السابقة في النقد والمساءلة وكشف الاختلالات، تحت تهديد "راجمات" ترميها بالخيانة والإساءة للوطن وخدمة الأعداء الشامتين. وبات الاعتقاد الذي يسود المشهد تدريجيا، يصوّر الصحافة كما لو كانت جيشا احتياطيا للسلطة، يكاد يغادر غرف التحرير ليصبح جيشا احتياطيا يلتحق بجيش السلطة.

فهل يستقيم الحديث عن "صحافة وطنية"؟ هل ينبغي لنا في مقابل هذه الصحافة الحديث عن "صحافة خائنة"؟ هل من أدوار ووظائف الصحافة كما استحدثتها المجتمعات البشرية المعاصرة حراسة أبواب الوطنية؟ ثم ما المقصود بالوطنية أصلا؟ أليست وظيفة حماية الصالح العام التي تضطلع بها الصحافة قمة الوطنية؟ أم إن المقصود في سياق النكوص الحالي هو "الصحافة السلطوية" أي التي تدين بالولاء أولا وحصريا للسلطة ؟

بالمقابل، أليس الصحفيون مواطنين كغيرهم من أفراد المجتمع، يعيشون فوق أرض الوطن ويتمتعون بحمايته وبخيراته ومن الطبيعي أن يظهروا ولاءهم له؟ أليست الصحافة جزءا من الوطن؟ هل يستطيع أي كان إنكار الدور الذي تقوم به الصحافة

أليس الصحفيون مواطنين كغيرهم من أفراد المجتمع، يعيشون فوق أرض الوطن ويتمتعون بحمايته وبخيراته ومن الطبيعي أن يظهروا ولاءهم له؟ أليست الصحافة جزءا من الوطن؟ (تصوير: غليب غرانيش - رويترز).

في بناء وتقوية وحماية اللحمة الوطنية؟ أليست الوطنية وحدها تستطيع منع الصحافة من الانسياق لأهواء مالكيها ومحترفيها، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والحرص على خدمة الصالح العام؟

> إذا كان الإعلام الغربي قد تحوّل فجأة إلى منصات للدعاية الحربية، فعندنا أصبحت الصحافة تواجه اختبار الوطنية في مواقف أبسط من ذلك بكثير، أي عندما تهم بتغطية حادث مروري أو حريق غابات...

معضلة قديمة

ينبغي الاعتراف أولا أن هناك فعلا معضلة قديمة ترتبط بعلاقة الصحافة بالمشاعر والأدوار الوطنية. فالإنسان كائن اجتماعي بطبيعته، يعيش داخل جماعة يدين لها بالولاء ويرتبط بها بصلات تنقسم إلى صنفين: صلات قانونية هي الدستور والتشريعات المختلفة، وأخرى عاطفية هي ما يوصف بالوطنية أو القومية. هذا الصنف الثاني من الروابط يطرح إشكالات فلسفية وفكرية عميقة، أي كيف يصنع هذا الشعور الذي يحمل الإنسان على الاعتراف التلقائي بالانتماء إلى جماعة معينة ويدفعه إلى الدفاع عنها تحت مسمى الوطنية؟

وإلى جانب عوامل عديدة، تساهم الصحافة دون شك في صنع وعي وتمثل الناس لأنفسهم ولمحيطهم ولمجتمعهم ولدولتهم ولجوارهم وللعالم من حولهم، ولموقعهم ومكانتهم في هذا العالم، كما تصنع طموحات وآمال الناس ومخاوفهم.

لكن الحاجة إلى تدخل الصحافة المباشر في تعزيز التماسك الوطني تنخفض كلما ارتفع مستوى الديمقراطية، فهذه الأخيرة توفر أدوات عملية وفعالة لتحويل التنوع والاختلاف الثقافي والعرقي والإثني داخل البلد الواحد، إلى مصدر ثراء. بينما تحتاج الدول غير الديمقراطية بشكل حيوي إلى دور الإعلام لإخماد هذه المكونات المتنوعة ودفعها إلى الانصهار القسري ومنعها من البروز لغياب أدوات تدبير هذا التعدد.

أي أن الإعلام هنا يصبح مطالبا بدفع الثمن من حريته ومن

لا يجادل أي من الباحثين، تقريبا، في أن فكرة الدولة-الأمة هي الخاسر الأكبر مع الثورة الرقمية الحديثة، حيث جرى تجاوز الأطر التقليدية لبناء الهوية الوطنية الجامعة بشكل مستقل وإرادي (تصوير: ماكسيم شيميتوف - رويترز).

مهنيته، ليكون قربانا في محراب التماسك والاستقرار الوطنيين، ويكون بالتالي ضحية لغياب الديمقراطية.

باتت الصحافة مطالبة بالتخلي عن أدواتها المهنية السابقة في النقد والمساءلة وكشف الاختلالات، تحت تهديد «راجمات» ترميها بالخيانة والإساءة للوطن وخدمة الأعداء الشامتين.

القومية الرقمية

ظلت الدراسات الأكاديمية تقارب الظواهر الإعلامية من زاوية الدولة-الأمة (l'état-nation) طيلة عقود بعد الحرب العالمية الثانية، قبل أن تفككها حقبة البث التلفزيوني الفضائي وظهور ما يسمى بـ"الهجرة الإعلامية" عبر مشاهدة مواطني الدول قنوات أجنبية، واختفاء التطابق الذي كان سائدا من قبل بين الخدمة الإعلامية وحدود الدولة القومية. ثم راحت الدراسات النظرية تسائل هذا النموذج خلال عقد التسعينيات، وسرعان ما وجهت نقدا قاسيا لفكرة التأطير القومي للإعلام باعتباره مناقضا لفكرة الانفتاح والتعدد والتبادل الثقافي. ثم جاءت العولمة لتحمل البعض إلى التبشير باختفاء الحدود السياسية وضمور القوميات وانصهار العالم في بوتقة واحدة.

بعدها جاء التطوّر الرقمي ليشكل علامة فارقة أخرى في علاقة الصحافة بالقومية، حيث منح فرصة جديدة للتيارات الشعبوية والمتطرفة التي ظل ينظر إليها على أنها أقليات، من أجل الانتشار والصعود بقوة في الفضاء العام وفي الانتخابات، وكسب مساحات كبيرة في مجال التمكين للانكفاء ومعاداة الأجانب. بل إن الإنترنت أعاد إنتاج القوميات والخصوصيات، من حيث اعتقد البعض أنه ينهي التطابق بين الدولة ومجالها الجغرافي، وأحيا الحدود السياسية من خلال تمييز أسماء النطاقات حسب الدول والاعتماد المتزايد على الخوارزميات وإعمال مراقبة دائمة على المحتوى المنشور داخل المجال الترابي لكل دولة، وبات لمفهوم الوطنية في الإعلام تجسيد واضح في الواقع.

اختبار جديد للصحافة

لا يجادل أي من الباحثين، تقريبا، في أن فكرة الدولة-الأمة هي الخاسر الأكبر مع الثورة الرقمية الحديثة، حيث جرى تجاوز الأطر التقليدية لبناء الهوية الوطنية الجامعة بشكل مستقل وإرادي، وأصبحت الدولة الحديثة، نفسها، تسبح في بحر من الروافد المتدفقة عبر الوسائط الجديدة، التي تساهم حتما في تشكيل هذه الهوية الوطنية أو تفكيكها، على الرغم من الفائدة الكبيرة التي حققتها هذه الثورة التواصلية عبر تمكين الجاليات المهاجرة من البقاء على تواصل دائم مع وطنها الأصلي.

كما مكّن هذا التطور التكنولوجي بعض الوجوه السياسية التي

المحاسبة في منطق الديمقراطية ليست موسمية تمارس من انتخابات إلى أخرى، بل إن المحاسبة في سياق ديمقراطي تمارس يوميا وفي كل ساعة، بل كل دقيقة وكل لحظة وحين (تصوير: شيب سوموديفيلا - غيتي).

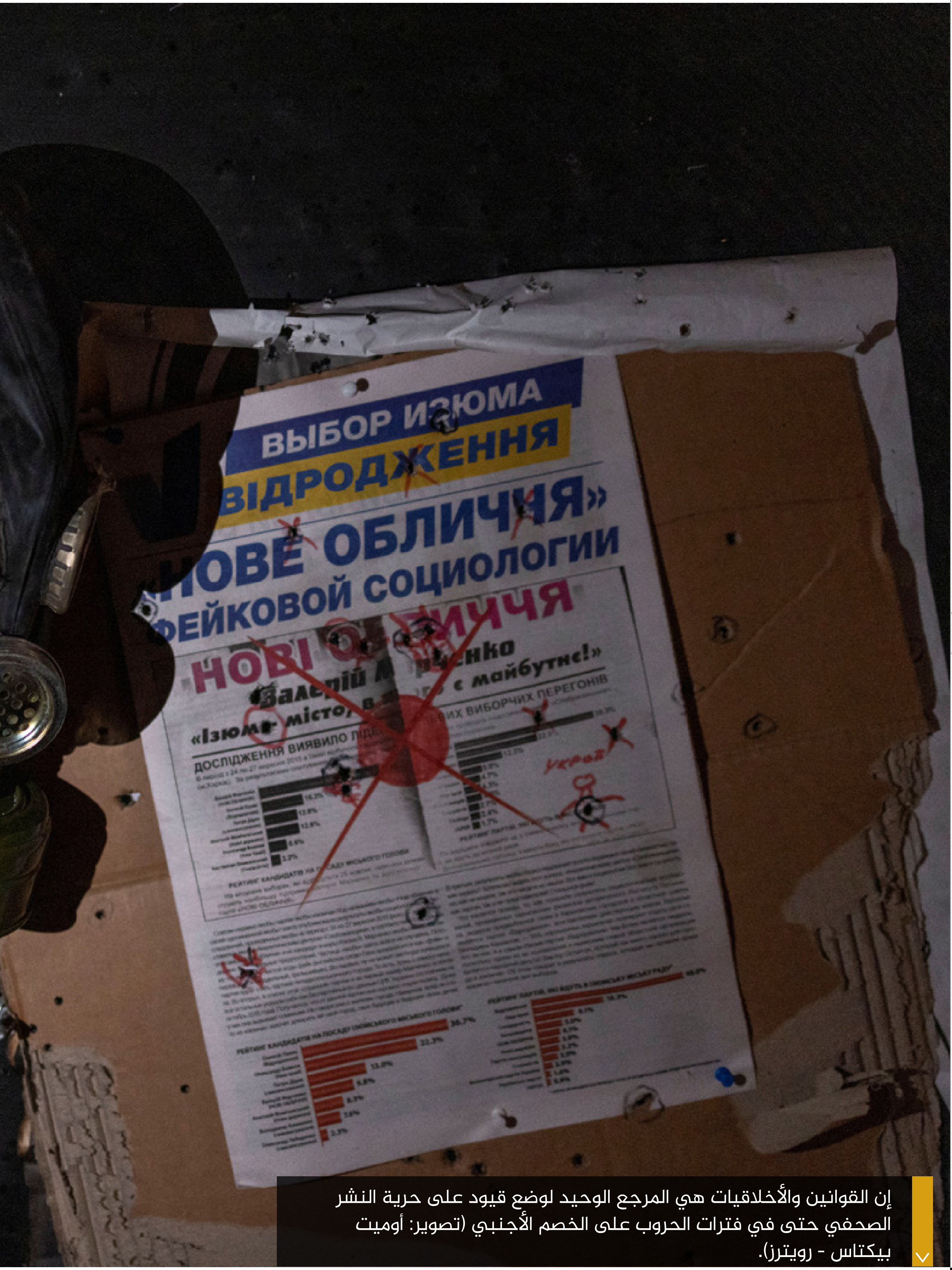

إن القوانين والأخلاقيات هي المرجع الوحيد لوضع قيود على حرية النشر الصحفي حتى في فترات الحروب على الخصم الأجنبي (تصوير: أوميت بيكتاس - رويترز).

توصف بالشعبوية أو اليمينية المتطرفة، من الصعود بقوة في السنوات الأخيرة، حيث تتسم هذه "الأقليات" بنشاطها الكبير وتحفزها للحضور والمشاركة الرقمية أكثر من "الأغلبية"، لشعورها الدفين بالإقصاء والتهميش ومحاولتها استغلال هذه النافذة الجديدة لطرح تصوراتها الخاصة للوطن، وهنا باتت الصحافة تواجه أسئلة كبيرة، لأن جمع ونشر الأخبار والحقائق مبتدأ أية عملية تواصلية بهذا الشأن.

وانطلاقا من هذه التطورات، حاولت الدول مقاومة المد الجارف، حيث طفا على سطح النقاشات العمومية في الدول الغربية سؤال الاستقلالية في تشكيل الرأي العام الداخلي ومن ثم التحكم في نتائج الانتخابات. وبدأ الحديث عن التدخلات الأجنبية في تحديد مكونات البرلمان والحكومة. فيما عمدت دول أخرى مثل الصين إلى التدخل مباشرة لتحديد ما ينبغي للرأي العام المحلي الاطلاع عليه وما ينبغي حظره. وبين النموذجين أمثلة متنوعة كألوان الطيف، لمحاولات الدول الحد من انعكاسات الثورة الرقمية على التصور الجماعي للهوية الوطنية.

وفي مقابل شح نسبي في الدراسات التي تهتم بالصحافة ارتباطا بالقومية، أدى الاهتمام الحديث بالتيارات الشعبوية الصاعدة بقوة، إلى تسليط الأضواء على الدور الذي تلعبه الأخبار الزائفة والمضللة في بث الكراهية تجاه أبناء الوطن الواحد، بمبرر الوطنية الحقة والأصيلة. واهتمت هذه الدراسات الحديثة أساسا بالدور الذي باتت التكنولوجيا والمنصات الجديدة تلعبه في تعزيز أو إضعاف التماسك الوطني.

رد فعل الدولة القومية

بادرت الدولة، بمختلف أشكالها، إلى القيام بردود فعل دفاعية لمقاومة الموجة الرقمية، وراحت الدول الغربية الكبرى، بدءا من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، تضع قوانين وضوابط جديدة لحماية حدودها "الرقمية" وتحصين سيادتها عبر منع تسلل القوى الأجنبية نحو العقل الجماعي للأمة وتوجيه الرأي العام والتلاعب بنتائج الانتخابات، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وفي مقابل هذا التركيز الغربي على حماية استقلالية المسار الذي ينتهي باختيار من يحكم، لكون الانتخابات تمثل الأداة الأساسية المتفق عليها لحسم موضوع الصراع على السلطة (جزئيا)، ركّزت الدول غير الديمقراطية على حماية احتكارها لإنتاج الحالة التي تمكن النظام السياسي من البقاء والاستقرار.

ولفهم الاختلاف القائم في نظرة الدول إلى الصحافة بحسب وضعية الديمقراطية فيها، يمكن الاستعانة بأحد الآباء المؤسسين للصحافة في الهند، ويدعى خاسا سوباراو Khasa Subba Rao، الذي ربط كل محاولة لتعريف الصحافة وتحديد أدوارها بالسياق السياسي.

> **الصحافة في الديمقراطية هي مرادف للحكم بالقانون، بينما في الأنظمة الاستبدادية هي الحكم بالسلطة، في الديمقراطية هي إنتاج القرارات عبر النقاش، وفي الاستبداد هي إنتاج القرارات بالإملاء.**

وميّز هذا "الحكيم" الهندي بين الصحافة في سياق ديمقراطي ونظيرتها في سياق استبدادي. واعتبر أن الصحافة في الديمقراطية هي مرادف للحكم بالقانون، بينما في الأنظمة الاستبدادية هي الحكم بالسلطة، في الديمقراطية هي إنتاج القرارات عبر النقاش، وفي الاستبداد هي إنتاج القرارات بالإملاء، في الديمقراطية الصحافة رقيب على السلطة، وفي الاستبداد هي خادمة للسلطة. في الديمقراطية، حسب هذا الصحفي الهندي، الصحافة تحمل الناس على التفكير، بينما في الاستبداد هي هنا لحملهم على الخضوع دون تساؤل.

من هنا يتبين أنه من المنطقي محاولة الدول الضعيفة الديمقراطية، حمل الصحافة على البقاء داخل دائرة التمكين للحكم بالسلطة وعبر الإملاء واستدامة الخضوع دون نقاش أو تساؤل.

> تتجلى سلطة الصحافة في شعورين متناقضين: شعور بالثقة والاطمئنان لدى المواطن تجاهها، باعتبارها حاملة لصوته وحريصة على حقوقه؛ وشعور بالخوف لدى كل صاحب سلطة أو مسؤولية.

الصحفي المنفرد (على غرار ما يوصف بالذئب المنفرد) لا يستطيع مهما كانت قوته المعنوية أن يمتلك هذه السلطة ويجسدها، بل لا بد لهذه الوظيفة من مؤسسة صحفية محترفة ومهنية، تجتمع حول قيم مشتركة وذاكرة موحدة وأهداف واضحة ومثل وقيم معلنة للجمهور. ولا بد لمثل هذه السلطة من نظام مؤسساتي متين يجمع بين الأقسام التحريرية والتجارية والقانونية والإدارية ويرسم الحدود الفاصلة بينها بكل وضوح.

تجريد الصحافة من وظيفة المساءلة

أخطر ما في هذا المد "القومي" الجديد الذي يزحف على صحافة تعاني أصلا تبعات الخذلان الشامل تجاهها من عوالم الاقتصاد والسياسة والثقافة، ليس مطالبتها بأداء وظيفة جديدة هي القيام مقام الدولة في "حوزة" الوطن، بل الخطر كله في استدراجها نحو التخلي عن واحدة من أهم وظائفها وخصائصها الوجودية، وهي المحاسبة في مواجهة من يحوزون الحكم.

فالمحاسبة في منطق الديمقراطية ليست موسمية تمارس من انتخابات إلى أخرى، بل إن المحاسبة في سياق ديمقراطي تمارس يوميا وفي كل ساعة، بل كل دقيقة وكل لحظة وحين. وبمنطق السوق الليبرالية الحرة التي تكاد تكون دين العصر، تعرّف الصحافة الجيدة بأنها تلك التي تساهم في جعل المسؤولين خاضعين للمحاسبة أمام الجمهور، وتجعل الأخبار المفيدة متاحة وموضحة، وتمكّن المواطنين من النقاش وتبادل الآراء بكامل الحرية.

الصحافة بطبيعتها سلطة مضادة، وهي بالفعل سلطة ولا مجاز في الأمر كما يعتقد البعض، وإن لم تكن سلطة فهي بالضرورة ليست صحافة. مصدر هذه السلطة التي تميّز الصحافة هو قدرتها على تشكيل الرأي العام وتنويره كي يقاوم مراكز النفوذ السياسية والاقتصادية ويحمي حقوقه من اندفاعها الغريزي نحو هضمها.

يؤدي طغيان المشاعر الوطنية إلى تقييد حرية الصحافة في ممارسة دوره في مراقبة السلطة (تصوير: دان كيتوود - غيتي).

وتتجلى سلطة الصحافة هذه في شعورين متناقضين: شعور بالثقة والاطمئنان لدى المواطن تجاهها، باعتبارها حاملة لصوته وحريصة على حقوقه؛ وشعور بالخوف لدى كل صاحب سلطة أو مسؤولية. لهذا تجد قادة الدول الديمقراطية شديدي الحرص على صورتهم في الصحافة لأنهم يدركون أن أي سوء تواصل أو نشر غير دقيق حولهم يعني نهايتهم. فهل يستقيم التفكير في جعل هذه السلطة (المفترضة) مجموعة إضافية من الجنود أو الأعوان الموضوعين تحت تصرّف الحكومة؟

وبما أن لكل سلطة حدودا، فإن القوانين والأخلاقيات هي المرجع الوحيد لوضع قيود على حرية النشر الصحفي حتى في فترات الحروب على الخصم الأجنبي. فجل الدساتير والمدونات القانونية الحديثة تضم قوائم حصرية للحالات الاستثنائية وما يقع تحت بند السرية وطرق الملاحقة القضائية... ومدونات الأخلاق تجمع على أهمية الانطلاق من سؤال بسيط: هل سيؤدي النشر في تلك اللحظة إلى مزيد من التوتر والصراع والضحايا؟ إن كان الجواب "لا" وكان الأثر الوحيد للنشر هو غضب السلطة وامتداداتها فإن القرار الأخلاقي هو النشر دون تردد.

وطنية النقد أسمى من وطنية التملق

ينسب إلى أحد المفكرين المرجعيين في المشهد الثقافي والسياسي الأمريكي المعاصر، وهو السيناتور الديمقراطي جيمس ويليام فولبرايت، قوله إن توجيه النقد إلى بلد ما هو "خدمة وإطراء ومجاملة" له، لكونه يحفز السلطات على فعل الأفضل ويبعث على الاعتقاد بأن بالإمكان تحقيقه. ويخلص بالتالي إلى أن النقد يصبح هنا الفعل الوطني الحقيقي بل يسمو في وطنيته فوق أشكال "التملّق" باسم الوطنية. وعندما تتصرف سلطات بلد ما خارج القانون وعكس ما تعلنه من التزامات ووعود، فإن الوطنية في هذه الحالة تكون كشف هذا التجاوز أو التناقض وليس التستر عليه. ورغم أن أيا من المجتمعات، بما فيها الديمقراطية، لا تخلو من نقاش الوطنية والخيانة كلما تجاوزت الصحافة الخطوط الحمراء المرسومة لها من طرف السلطة، فإن الفرق يكمن في استمرار النقاش بطريقة صحية حول مواضيع مثل تسريبات "ويكيليكس" التي كشفت الكثير من تجاوزات السلطات والجيش الأمريكيين، عكس الدول المغلقة أو ذات "الهويات القاتلة" بتعبير أمين معلوف، حيث يتم حمل الصحافة بسرعة على الانضمام إلى جوقة الدعاية.

معهد الجزيـرة للإعلام
ALJAZEERA MEDIA INSTITUTE